كشف المغالطات السفسطية
ردًا
على ما اشهره حديثًا احد خدمة الابروتستانية
ضد بعض الاسفار الالهية

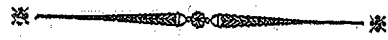

طُبع عند الاباء اليسوعيين في بيروت
سنة ١٨٧٠

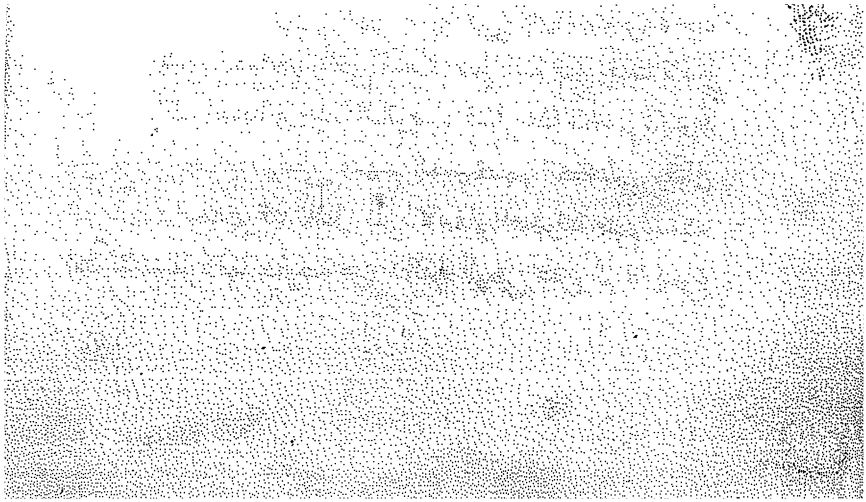

http://al-maktabeh.com

* بسم الاله الحق *

جدًّا لمن بدد بانوار تعاليمه ظلام الضلال . وايتمن بسيفه المقدسة على وديعة اقواله الالهية فسلمت من القيل والقال . اما بعد فاننا قد كنا حركنا سواكن الاقلام مدافعةً عن قداسة حبر الاحبار حيث قد اضحى هدفاً لسهام الافتراء والثلب ممن اذ قد جحد الايمان القويم وحاد عن الصراط المستقيم قلب المجن وحارب اهل الفضيلة والفضل . فاصبحت الكثلكة وروساؤها وسائر اقوامها موضوعًا للقذف اللئيم فدافعنا عن ذلك بما كان من المدافعة . اما الآن فاننا نتسلّح بالقلم ونأخذ بالمحاماة عن كلام الله الوديعة الثمينة المؤتمنة عليها بيعته المقدسة . على انه في ردنا القويم على الرسالة المعنونة باسم ميخائيل مشاقة الابروتستاني نفينا ما قد كان اتهمنا به هذا الخصم حيث قال : ان قداسة حبر الاحبار قد ترك الانجيل الحق واخذ يعلّم المؤمنين انجيلاً جديداً : فنكرنا عليه مدّعاه وبيّنا له بان جماعته الابروتستانية قد مسّخت كتاب الله اذ حذفت منه اسفاراً برمتها . لا بل وانهم قد تلاعبوا بغيرها وحرّفوا معانيها . كما هي الحقيقة ونفس الامر . فعندها نهض احدهم والغى اسمه مع انه قد ونّبنا لاننا لم نذكر اسمنا في ردنا القويم . فغار هذا الخصم الجديد على تبرير جماعته ونفى عنهم تمسيخهم الكتاب وقال انه شجبنا حيث قد تعلل بان الاسفار المحذوفة منهم ليست اهلاً للاعتبار لانها خارجة عن دائرة الوحي فمن ثم لا يسوغ

ان نعدّها الهية . بل الخليق ان تُلقى جانباً . على انه انكر عليها سمة كونها مقدسة فيما ان بيعة الله المعظمة تعدّها موحاة والهية منزلة . ولذا فانها تستحق كمال الاعتبار والاكرام . واذ كانت الدعوى جزيلة الاهمية وجبت علينا المدافعة *

لكنه لما وقف الخصم عند تمسيخ الكتاب ولم يتعرّض الى تحريفه وتاويله الى غير معناه اقتضى ان نقف عند هذا الحد ولم نتجاوزه *

ففي اول صفيحة من اوراق اظهرها للعيان وسماها : كشف المين على تآليف زوين : اخذ يقذف الشتائم صدنا . لكنه في ما تبقى من اقاويله قد لاح لنا صاحب تلك الاوراق متسترًا بثوب الرصانة والاداب . فحمدنا حسن صنيعه على تركه ما لا مدخل له في الجدالات الاصولية شاكرين المولى لاننا لم نضطر ثانيةً ان نرد على قاذف شتّام بل على عاقل رصين . فكان ذلك من حسن الحظ والتوفيق . فكيف لا نسرّ فرحين وها ان خصمنا ذو شمم فتحمله على حب الحق وشهامة فتجعله ان يترك الاوهام ويلقي الاغراض فيعتنق هذا الحق *

فقد افتتح كلامه بخطاء نسبه اليّ وهو ما كان من امر احنوخ . وان يكن ذلك لا يخل باثبات دعواي التي افحمت بها خصمي . لا بل وان كان لي باب وسيع للمدافعة حيث ان خصمنا الجديد لا يجهل بان الكتاب لم يذكر احنوخ واحد بل اكثر . فان كان احدهم مقترناً بزواج فانه يعسر على الخصم اثبات الزيجة على الاخرين . ومع هذا فاني اقرّ معترفاً باني قد استوجبت

هذا المقام ومن ثم اومل بان اقراري بالخطاء بدون تردد ولا اعتذار يكفي لتبريري بهذا الشأن . فجلّ من لا يغلط . على ان زهقات القلم كثيرة . وانما السعيد من اعدت سقطاته . لكنه لا يبرحنّ من ذهن القاري ما جاءت به الامثال وهو : ان الخطاء من طبع الانسان . اما الاصرار على الخطاء فهو من الشيطان : فعلى الخصم ان يبجّن في ذهنه هذا المثل . وانه اذا ما اثبتّ له عظم الاصاليل المشحونة بها اوراقه يستفيد من تعليم الحق المبين . فاكون قدّمت له مثالاً ليقرّ بخطاه فيُحمد اذ ذاك حسن مسعاه *

وقد بنى تلك الاوراق على تهم خمس وجهها ضد الاسفار القانونية الثانية . لكننا اذا ما بحثنا حسن البحث وتسلّحنا بانوار العقل الثاقب ودقّة الانتقاد الصائب فلا نجد في ما اتهمنا به ما يخفّض اكرام بيعة الله المقدسة لهذه الاسفار الالهية المنزلة . اي نعم انه قد قدم براهين لكن ما من احدها يستحق اسم دليل وبرهان . واتى بشهادات تأييداً لحججه . لكن ما من واحدة منها توافق مدّعاه . بل اني اقول ان كل ما اورده من الشهادات اسنادًا لاقاويله انما يتّجه باجمعه ضده . ومن ثم قد جرح ذاته بسلاح اراد به المدافعة عن نفسه *

فواكالة هذه اننا نأخذ بتبيان ما تقدم . واذا ما اقنعنا القاري بصحة برهاننا يحق لنا ان نقول بكل عدل وصواب : ان جماعة الابروتستانت بحذفهم الاسفار القانونية الثانية قد

مسخّوا الكتاب المقدس ونزعوا الوديعة الالهية المؤتمنة عليها بيعة الله المقدسة، اذ انها قد استلمتها من السيد المسيح ورسله الكرام *

فان البحث عن هذه الاسفار الالهية هو جزيل الاهمية وكثير الفائدة بذاته . فمع ذلك قد اعطانا محلاً لنبيّن للقاري تلك الاساسات الوطيدة المبني عليها ايماننا القويم، اعني به ايمان بيعة الله الكاثوليكية المقدسة . ثم ويتأكد الجميع كذب براهين اخصامها وفساد ادلتهم وسخيف حجج يتسلحون بها لمقاومتنا *

* الباب الاول *

* في البحث عن قانونية الاسفار *

انه قبل شروعنا بالبحث عمّا القاه الخصم من التهم على الاسفار القانونية الثانية نلتمس من القاري ان يمعن النظر بسوء الحال التي عليها جماعة الابروتستانت في هذا الشأن . على ان البحث انما هو واقع على قانونية الاسفار الالهية وعلى تعيين تلك الاسفار التي تحتوي كلام الله . وعمّا هي الاسفار التي يجب علينا قبولها لكونها اهلاً لايماننا . ثم ويجب ان نؤمن بها لا بايما ايمان كان . بل بايمان الهي . بايمان يخضع العقل والارادة بقوة كلام الله تعالى ذاته *

اما نحن اولاد الكنيسة الكاثوليكية المقدسة فاننا نعلم حسناً بان روساء بيعة الله الشرعيين يخاطبونا باسمه تعالى . وانه جلّ وعلا قد اعطاهم سلطاناً . وان يسوع المسيح قال لهم : من يسمع منكم فقد سمع مني : فهولاء الروساء الشرعيون يقدّمون لنا مجموع الكتاب المقدس قائلين لنا : ان الاسفار الموجودة في هذا الكتاب هي موحاة من الله . امنوا بها واقبلوها : فبناء عليه اننا نؤمن بها ونقبلها . ومن ثم يستند ايماننا وقبولنا على كلام الله ذاته الذي يخاطبنا بشخص وكلائه الشرعيين . فاذاً ايماننا هو الهي ومنزّه عن الغلط بما انه مستند على كلام الله الالهي المنزّه عن الخطاء . ولذا قال القديس اغستينوس : اني لا اؤمن بالكتاب لو لم تأمرني الكنيسة المقدسة بالايمان به : *

امّا الابروتستانت فانهم على عكس الامر . على انهم لا يسلّمون

بان الله قد اعطى سلطاناً لرؤساء بيعته المقدسة الذين يجب على كل مؤمن ان يخضع عقله لتعليمهم . ولا يسلّمون ايضاً بانه يوجد خارج الاسفار المقدسة تقليدٌ يحتوي كلام الله *

فنتج من هذا بانه لا طريقة عند الابروتستانت يسندون عليها قانونية الاسفار المقدسة على كلام الله ذاته ويثبتونها اثباتاً منزهاً عن الخطاء *

واكمال انه وان امكنهم ان يثبتوا بمساعدة الكتاب المقدس وجود اسفار كثيرة مقدسة ويؤكدون صحتها وانزالها . لكنهم لا يستطيعون ان يثبتوا جميعها . فقد علّمنا بولس الرسول برسالته الثانية الى تيموثاوس (ص ٣ — ١٦) بان الاسفار المقدسة هي كلها موحاة . لكنه لم يعلّمنا ما هي هذه الاسفار . وقد علّمنا بطرس هامة الرسل بان رسائل بولس هي من الكتاب المقدس . لكنه لم يعلّمنا ما هي هذه الرسائل . بل وان رسالة بطرس نفسه ورسالة يعقوب ورسالة يهوذا ورسائل يوحنا ورؤياه ايضاً قد الغاها الابروتستانت من كتابهم اولاً ثم عادوا وقبلوها ثانيةً . ليت شعري تُرى ايما صحيفة من الكتاب المقدس تعلّمنا بان هذه الاسفار هي من جملة الوديعة الالهية وان سائر اسفار الكتاب لم يُضف عليها شيء او يُحذف منها شيء *

اي نعم توجد ادلّة تاريخية وانتقادية وشهادات تعلن وجود هذه الاسفار المقدسة وتبيّن صحتها . اما الابروتستانت بما انهم ينكرون التقليد الالهي وسلطان الكنيسة الاقدس فانهم لا يأخذون هذه الادلّة من كلام الله . ومن ثمّ لا اسناد لها على هذا الكلام

كالهي ، فقد يمكنهم ان يتوصلوا بموجب هذه الادلة الى ان يعرفوا الاسفار معرفة بشرية قابلة الغلط ولا اسناد لها الاَّ على كلام البشر ، لكنه لا سبيل لهم للوصول الى معرفةٍ تستند على كلام الله ذاته وتلزم العقل والارادة بعصمتها من الخطاء *

فبناءً عليه يضطر اللابروتستانت بقوة البرهان السديد ان يقرّوا معترفين بانهم لا يستطيعون ان يحددوا قانون الاسفار ويعيّنوه بشهادة كلام الله . وذلك لانهم يطرحون سلطان الكنيسة صاحبة التعليم ، وسلطان كلام الله المتصل الينا بالتقليد *

ولذا كانت حالة اللابروتستانت فيما يخص تحديد قانون الاسفار اسوأ الاحوال ، فنحن فاننا على قارّة ثابتة ، واما هم فعلى ارض المعرفة البشرية والتاريخية والانتقادية المتزعزعة * فقد تعرّض خصمنا لمصادة الاسفار القانونية الثانية مستنداً على هذه الينابيع البشرية . فلذا ننزل معه الى هذا الميدان وسوف يتضح للعيان بان المعرفة التاريخية والانتقادية التي اسند الخصم عليها حذفهم هذه الاسفار من كتاب الله المقدس تنادي صارخةً ضدهم شاجبةً مدّعاهم *

* الباب الثاني *

* في الاسفار المحذوفة من كتاب اللابروتستانت *

فان سألنا ، ما هي الاسفار التي انكر الخصم عليها سمة الوحي والانزال وحذفها من اصل الكتاب المقدس ، فانه يجيبنا قائلاً : بانها هي سفر طوبيا ويهوديت ، وسفر الحكمة ، وحكمة يشوع ابن سيراخ ونبوة باروخ ، وسفرا المكابيين الاول والثاني ، وبعض الاضافات الى

سفري استير ودانيل : *

لكننا قد رأينا لوثيروس وتلاميذه قد حذفوا اسفاراً اخرى غير هذه في اوائل الاصلاح الموهوم منهم ، على انهم قد رزلوا رسالة القديس بولس الى العبرانيين ، ورسالة القديس يعقوب ورسالة القديس يهوذا ورؤيا يوحنا ورسالتيه الاخرتين ، ورسالة القديس بطرس الثانية ، فاذا كان ذلك كذلك فاني اسأل الخصم الحبيب مستفهماً ، اما ان لوثيروس قد اصاب بحذفه هذه الاسفار ، او انه قد اخطئ ، فان كان قد اصاب ، فلِمَ تقبلها ايها الخصم وتحصيها بين الاسفار الالهية المنزلة ، وان كان قد اخطئ ، فاذاً قد اذنب بتمسيخه كتاب الله اذ قد تلاعب بوديعة اقواله الالهية المقدسة ، والحال ان لوثيروس هو صاحب الاصلاح الموهوم منكم ، فاذاً كيف تعتبرونه مرسلاً من الله وهو قد رزل كلام الله وحذف الاسفار الالهية المنزلة *

ولقد يدّعي الخصم الحبيب قائلاً : بان لوثيروس وتلاميذه قد اخطأوا بذلك ، وانهم لم يحسنوا البحث والتدقيق بهذا الشأن ، فهذا امر مسلّم ولا يشوبه ريب البتة ، لكن تأمّلنّ يا صاح بانه حسب مبداك كان لوثيروس واصحابه حينئذٍ كنيسة يسوع المسيح الحقيقية ، لان الكنيسة الكاثوليكية كانت حسب مدعاك زانية ، ومن ثمّ قد اخطأت كنيسة يسوع المسيح لانها حذفت اسفاراً حقيقة مقدّسة ، اذ ادعت بانها غير منزلة ، فاذاً قد قويت ابواب الجحيم على بيعة الله واخطئ المسيح بوعده لها * فواكالة هذه لا مناص لك يا صاح من احد الامرين ، وهو اما

http://al-maktabeh.com

ان تعترف بان صاحب الاصلاح الموهوم لم يكن فيه روح الله . او انه يجب عليك ان تحذف من كتاب الله اسفارًا كثيرة مسلّم بها منك . فعاد الاولى بك . هذا ان كنت لا تبتغي ان تكون هزوًا وسخريةً لدى اهل العقل . ان تقرّ معترفًا بانه خارجًا عن الكنائس الكاثوليكية والسلطان المرسوم من الله تعالى في بيعته المقدسة لتحديد مادة الايمان لا توجد قاعدة حقيقية لتعيين الاسفار الالهية *

وهذا هو سبب وجود التناقض بين اهل اصلاح بدعتكم . على ان ما قد رذله لوثيروس وحذفه من الاسفار المقدسة قد سلم به كلفينوس واتباعه حيث قد توهموا بانهم وجدوا فيها اساسة يحاربون بها اخصامهم اللوثرانيين . وهذا هو ايضًا سبب انقسام علمائكم وتردد ارائهم . قل لي نشدتك الله . أما ان كثيرين منهم قد اعدّوا سفر ايوب البار حكاية واعتبروا نشيد الانشاد اغاني مجونية . وغيرهم قد نكروا صحة الاناجيل المقدسة ونسبوها الى انجيليّين مجهولين . أما ان الشهير ميكائيليس قد رذل انجيل لوقا وانجيل مرقس واعمال الرسل . وذلك لان هذين المبشرين لم يكونا من مصاف الرسل . ومن ثم لا دليل على انهما كانا ملهمين . (هذا ما قاله في مقدمته على كتاب العهد الجديد مجلد ١ فصل ٣ قسم ٣) . فعلى الخصم ان يجاوبه جوابًا شافيًا على اعتراضه وهذا هو تمام المبتغى *

ومن ثم كانت الاراء بينكم على اختلاف عظيم في قانونية الكتاب . وفي مسائل اخرى غيرها تلاحظ المعتقد

وما ذاك الّا لانكم رفضتم المحكمة المقامة من الله تعالى لتحكم بامر الايمان وتميّز صحيحه من فاسده . ومن المعلوم عندكم بان عدداً عظيماً من جماعتكم في اوروبا غب امعان النظر والاستناد على الدليل النطقي اقرّوا معترفين بانه بدون سلطة خارجة معصومة من الخطاء ومقامة من الله لكي تتكلم باسمه تعالى لا يستطيع الانسان الوقوف على حقيقة الوحي ومعرفة الاسفار التي تحتوي هذا الوحي . واذ كانوا لا يسلّمون لسلطان الكنيسة فقد رذلوا الوحي نفسه . ولذا قد دُعوا من اهل مذهب النطق . قل لي يا صاح . اما ان هولاء قد اخذوا هذه النتائج عن نفس مباديكم *

امّا نحن فاننا نقرّ بالمحكمة المقامة من الله تعالى في بيعته المقدسة . ونعلم بان لها الحق الشرعي بان تميّز تمييزاً معصوماً من الخطاء بين الحق والباطل . وانها قد اعطيت سلطاناً بان تعلمنا الحق . وان لها قد كان الوعد بان ابواب الجحيم لا تقوى عليها *

فان وجد بيننا اختلاف بالاراء . او اذا كان قد وجد اختلاف بين علمائنا على بعض مسائل . فما ذاك الّا لان هذه المحكمة الالهية لم تكن حينئذٍ ابرزت حكمها القاطع فكان البحث على تلك المسائل مباحاً . لكنه متى صدر الحكم الاعلى ممن قد قيل لهم : علّموا جميع الامم : ومتى رفع بطرس صوته واهدى القطيع الى المراعي الحقيقية وثبّت اخوته في تعليم الوحي الحقيقي فحينئذٍ يبطل كل جدال . وتجتمع كل الاراء

الى واحد * قلب واحد وروح واحد (اعمال ص ٤ ع ٣٢) *

فهات الآن نبحث عن مدّعى الخصم وعن التهم التي اقامها ضد الاسفار القانونية الثانية من العهد القديم . فان سياق البحث يبيّن موضحاً بانه لا اسم القانونية الثانية التي اعطاها اللاهوتيون لهذه الاسفار الالهية . ولا اسم ابوكريفا اي خفيّة على ما قد دعاها احياناً اباء الكنيسة . لا يدلان على عدم انزال هذه الاسفار ولا يخفض الاعتبار نحو كلام الله المحتوي فيها *

* الباب الثالث *

* في تهمة الخصم الاولى *

قال الخصم: ان البيّنات على ان هذه الاسفار ليست بقانونية هي اولاً عدم وجودها في التوراة العبرانية اذ انها لم تُكتب باللغة العبرانية التي هي لغة العهد القديم الاصلية بل باللغة اليونانية التي لم تُعرف عند اليهود الاّ بعد انتهاء الوحي وختام العهد القديم بزمان طويل . وقد اجمع رأي اليهود بوجه العموم على ان ملاخي هو اخر انبياء العهد القديم ولم يدّع احد منهم البتة باسفار كُتبت بعده انها قانونية . ويوجد ادلّة راهنة ان هذه الاسفار كُتبت زماناً طويلاً بعد عزرا وملاخي وربما كُتب البعض منها بعد ابتداء التاريخ المسيحي : *

فهذه التهمة الاولى تحتوي برهانَين . احدهما ان الاسفار المسلّم بها من الكنيسة الكاثوليكية لا وجود لها في الاصل

العبراني الذي هو وحده مقدس فاذاً الخ . والاخر هو ان هذه الاسفار قد كُتبت بعد انتهاء الوحي . فاذاً الخ *

فنجيب عن الاول سائلين الخصم . أهل انه امر حقيقي بان القانون او مجموع اسفار العهد القديم المقدسة لا يحتوي الا الاسفار المكتبة بالعبرانية *

ليت شعري ترى في ايما صفيحة من الكتاب المقدس رأى الخصم هذا المدّعى ، اي نعم قد ادعاه . لكن كيف اثبته . قال : ان احد الكاتبين قد افترضه : فاذاً بموجب زعمه يكفي رأي احد كاتبين اليهود لحسم مسئلة هكذا جزيلة الاهمية . وقال: ان جميع الانبياء قد كتبوا باللغة العبرانية : فاين دليله على ذلك . اي نعم قد كتب اشعيا ودانيل بهذه اللغة . لكن ليت شعري . أما ان لغة الكتاب قد اختلفت وتغيّرت . فان كانت العبرانية وحدها دون غيرها هي اللغة المقدسة . لماذا قبل اليهود بل وعلماء الابروتستانية انفسهم بين كتبهم القانونية بعض قطع العهد القديم وقد كتبت هذه حقيقةً بالكلدانية . فمنها في سفر التكوين . ص ٣١ ع ٤٧ * ارميا ص ١٠ ع ١١) * دانيال ص ٢ ع ٤ الى نهاية الاصحاح السابع . عزرا ص ٤ ع ٨ الى ص ٦ ع ١٩ وص ٧ ع ١٢ — ٢٧ * أهل ان الخصم يجهل ذلك . او ربما انه يزعم قائلاً . ان اللغة الكلدانية يمكن اعدادها لغة مقدسة نظير اللغة العبرانية . اما اليونانية فلا *

قل لي ايها الخصم الحبيب . لماذا لا يمكننا ان نقبل اللغة اليونانية نظير لغة مقدسة . أما ان يهود الاسكندرية قد استعملوها

في صلواتهم وطقوسهم الدينية . أما ان السبعين مترجماً قد استخدموها في ترجمتهم كتاب الله . أهل ان الله تعالى قد اسر نفسه وعاهد بني البشر بان لا يكلمهم الّا بالعبرانية . او ان روحه القدوس لا يستطيع ان يلهمهم الّا بها . ايّة آيةٍ من الكتاب تعلمنا ذلك *

ومع هذا هب ان السيونانية ليست هي لغة مقدسة عند اليهود . أما تكون مقدسة عند المسيحيين . فاننا قد رأينا اباء الكنيسة قد علّموا بان الله تعالى قد اختار ثلث لغات وفضّلها عمّا سواها . هكذا قال القديس اغستينوس في تفسيره المزمور ٥٨ ـ ١ . والقديس ايسيدوروس الايسبانيولي في كتابه اليتيمولوجيا ٩ — ١ . فقد اتضح لدينا نحن معاشر المسيحيين من علمائنا الفضلاء بان الوحي لم ينحصر انزاله في اللغة العبرانية وحدها دون غيرها كما زعم الخصم *

هات الآن نرى برهانه الثاني . وهو ان الاسفار المقدسة قد كُتبت بعد انتهاء الوحي *

ان الخصم قد اشرك في هذه المسئلة بين امرين يجب الفرق بينهما ويقتضي امتيازهما عن بعضهما . اي انه قد اشرك بين تلك الرسالة فوق العادة التي اقام الله بها انبياء كانوا محاذين لخدمة الكهنوت . وبين موهبة النبوّة المحض . فما افترضه الخصم عن الاولى لا يستطيع ان يدّعيه عن الثانية ما لم يفترض ما هو واقع تحت البحث والجدال *

اي نعم انه بنهاية حيوة ملاخيا النبي ونبوّته قد انتهت عند اليهود سلسلة اولئك الانبياء الكرام الذين قبلوا من لدن الله

http://al-maktabeh.com

تعالى مع موهبة النبوّة الحقيقية رسالةً فوق العادة ايتموا بها لدى شعبه الخاص . فكان ملاخيا خاتمة هولاء الانبياء الفخام اولي الرسالة فوق العادة . وهذا امر مسلّم به من الجميع الى ان ظهر بعده ايليا الثاني اعني به يوحنا السابق . امّا زعم الخصم بانه في مدة تلك الفترة بين ملاخيا ويوحنا المعمدان لم توجد بين شعب اليهود نبوّة خصوصية ولم يُكتب سفرٌ بوحي الروح الالهي . فهذا انما هو افتراض ما هو واقع تحت البحث والجدال وذلك بدون دليل ولا برهان . ولا غرو بان ذلك قد نشاء عن جهل الخصم بالتاريخ المقدس وتاريخ الكتب الالهية . فقد اعلمنا كلا التاريخين بانه وجد عند اليهود في تلك الفترة ذاتها مواهب الهية مختلفة . كما وقد اكده لنا يوسف المورخ في تاريخه لاسيما في تاريخ حرب اليهود . فلا يستطيع الخصم ان يثبّت بان موهبة النبوّة لم تكن من مدد هذه المواهب . وقد تأكدنا الخلاف مما كان في نهاية تلك الفترة من نبوة زكريا واليصابات وسمعان الشيخ بل وقيافا نفسه *

ثمت قال الخصم بان جميع الاسفار المحتوية في قانون اليهود قد كُتبت قبل ملاخيا . ليت شعري هل وقف الخصم على حقيقة دعواه وتأكد صحة مدّعاه . وها اننا قد رأينا علماء البروتستانيين يؤكدون الخلاف . ومن ثم قد تسلّحوا بالتاريخ وابانوا بان مزمورات كثيرة هي من عصر المكابيين . بل وان احد العلماء قد اثبت مشاخرا بان المزمور المائة والتاسع عشر

الى المائة والثالث والثلثين قد أُلفوا في وقت تجديد اسوار اورشليم في ايام عزرا ونحميا . وقد ذُكر هذا التجديد في الاصحاح الثاني عشر من سفر نحميا *

فهذه هي براهين الخصم عن التهمة الاولى من مدّعاه . فعلى القاري ان يمعن النظر بها ويزن قيمتها بميزان يليق بشأنها . ولننتقل الآن الى البند الثاني من التهم الخمس المقدمة ضدنا *

الباب الرابع

* في تهمة الخصم الثانية *

قال الخصم : ان اليهود لم تقبل هذه الكتب كقانونية مع الاسفار المقدسة اصلاً مع ان الرسول بولس كان يحسب كونهم قد استؤمنوا على اقوال الله نعمة فائقة (رومية ٣ ـ ٢) ويوسيفوس المؤرخ الشهير الذي عاش في عصر الرسل يقول ليس عندنا كتب غير محصاة تضاد بعضها بعضاً . بل اثنان وعشرون كتاباً فقط . وهي تتضمن تاريخ جميع الاجيال القديمة وبكل حق يعتقد بها انها الهية . خمسة منها تنسب الى موسى وهي تتضمن شرائعه وتاريخ اصل الجنس البشري ممتداً الى وقت موته وذلك يحيط بمدة ثلاثة آلاف سنة تقريباً . وثلاثة عشر الى الانبياء الذين قاموا بعد موسى . وهي تتضمن حوادث اعصارهم من موته الى ايام ارتحشستا الذي ملك على الفرس . والاربعة الباقية تتضمن ترنيمات لله واوامر للبشر . واما تاريخنا من زمان ارتحشستا الى وقتنا الحاضر فهو مسجّل بالحقيقة في كتب . غير ان هذه الكتب لم

تحسب مستحقة الاعتبار كذلك اصلاً . لانه من ذلك الوقت لم يقم بيننا سلسلة انبياء كما كان قبلاً . فكيف يمكننا ان نعتمد عليها . ان كتبنا (اي الاثنين والعشرين كتاباً التي تقدم الكلام عليها) هي ظاهرة باعمالنا . فمع انه قد مضى زمان طويل لم يتجاسر احد البتة ان يضيف اليها او يحدث بها تغييراً ما مهما كان . انتهى : *

ففي هذه البيّنة برهانان ايضاً . احدهما ان القديس بولس يعلّمنا بان الكتب الالهية قد استؤمن عليها اليهود . والحال ان اليهود لا يقبلون في قانونهم الاسفار القانونية الثانية . فاذاً الخ *

والثاني هو ان يوسيفوس المؤرخ لم ينسق هذه الاسفار في سلك تلك الاسفار الالهية . فاذاً الخ *

اما نحن فاننا نترك الآن جانباً ذلك البحث . وهو هل انه يجب علينا ان نقبل من اليهود قانونية الكتب المقدسة ونتعلّم منهم ما هي الاسفار التي هي حقيقةً موحاة . ونأخذ بالبحث عن الشهادتين المقدمتين من الخصم ضد الاسفار المسلّم بها منا . اي اننا نبحث اولاً عن شهادة رسول الامم . وثانياً عن قول مؤرخ اليهود *

فنرى ما الذي قاله رسول الامم في الاصحاح الثالث من رسالته الى الرومانيين . فقد رأينا هذا الرسول قد وبّخ في الاصحاح الاول اليهود المرتدين الى الايمان المسيحي لانهم كانوا يحتقرون الوثنيين المرتدين الى الايمان . فاراد ايضاً ان يواضع هؤلاء

وثوقيهم من روح الكبرياء . فلذا اخذ يسأل ذاته بذاته قائلاً * فما فضيلة اليهودي الآن او ما منفعة الختان (رومية ص ٣ — ١) * فيجيب قائلاً * ذلك عظيم في كل شيء فاولاً انهم قد أُمنوا على كلام الله (رومية ص ٣ — ٣) * قل لي نشدتك الله ايها القاري اللبيب . بايما اصول منطيقية قد نتج لخصم من قول الرسول المار ذكره باننا نلتزم بان نأخذ الاسفار المقدسة من فم اليهود لا من فم بيعة الله المقدسة . أهل أن هذا الرسول قد تكلم في الاصحاح المار ذكره عن عدد الاسفار . لعمري ان صريح قوله يدل فقط على ما يرفع مقام اليهودي على الوثني ولم يتعرض اصلاً الى قانونية الكتب المقدسة *

اما نظراً لقانونية هذه الاسفار الالهية فقد علّمنا هذا الرسول نفسه في رسالته الاولى (تيموثاوس ص ٦ ع ٢٠) . بان الله تعالى قد ايتمن الاساقفة عليها وعلى سائر حقائق الايمان . وانه ينبغي ان نقبلها ونقبل كل تعليم من تلك التي دعاها بعدل وصواب قائلاً: * انها عامود الحق وثباته (ص ٣ ع ١٥) *

وان شاء الله فاننا نتكلم فيما بعد عن غرابة هذا المدّعى . وهو انّا نلتزم نحن المسيحيون بان نتعلم من اليهود ما يجب علينا ان نؤمن به . وما ينبغي ان نرفضه *

وهات الآن نبحث عن شهادة يوسيفوس المؤرخ المذكورة اعلاه . فقد اعلمنا يوسيفوس بقوله المتقدم ذكره بان الاسفار المقدسة التي كانت موضوع تكريم اليهود . تنقسم الى رتبتين . اي أن بعضها قد كتب منذ موسى الى عهد ارتحشستا في مدة

سلسلة مشاهير الانبياء غير المنقطعة . ومن ثم تستند على اسناد امكن من غيرها . لانه لم يوجد ريب بانزالها . قال : وانها كانت مقبولة كالهية بدون شبهة . وغيرها قد كتب فيما بعد . اي في مدة انقطاع سلسلة مشاهير الانبياء . ومن ثم كانت ذات اسناد اضعف . لكنّ هذه الكتب جميعها كانت عند اليهود ذات اعتبار هذا عظم مقداره حتى انه في بحر تلك الاجيال العديدة لم يجسر انسان ان يحذف منها او يضيف عليها حرفًا واحدًا . هذا ما قاله يوسيفوس *

فمن البيّن الواضح بان هذه الملاحظة التي لاحظها المؤرخ تشمل جميع الكتب التي نتكلم عنها . ومن ثمّ كل من اطلع على شهادته وامعن النظر بها يتعجب منذهلاً من تلك الحاشية التي وضعها الخصم بين هلالين قاصداً ان يحصر معنى المؤرخ في الكتب الذي ذكرها اولاً *

وزد على ذلك ان يوسيفوس لما تكلّم عن الاسفار الاولية . قال انها مقبولة كالهية بدون شبهة . وقال عن الثانية انها لا تستحق ثقة تعادل الاولى . فقد اوضح بذلك ان الثانية تستحق بعض الثقة وانها كانت ذات اسناد . وان انحط هذا عن الاسناد الذي تستند عليه الاولية *

وقد قال الخصم عن لسان يوسيفوس مالم يقله هذا المؤرخ اصلاً . اي انه اضاف على قول المؤرخ هذه الالفاظ وهي : فكيف يمكننا ان نعتمد عليها : فلا غرو ان القاري يتوهم بان هذه الالفاظ وهي : فكيف يمكننا ان نعتمد عليها : هي ليوسيفوس المؤرخ .

http://al-maktabeh.com

فيما انها مضافة من الخصم على المتن الاصلي . نشدتك الله قل لي . أهل يحتاج تعليم الحق الى مثل هذه الحيلة لقيام صحته . أهل ان استعمال الحيل شأنه ان يدل على صحة الدعوى *

اعلم ايها الخصم الحبيب ان الانسان بقدر ما يعتمد على كلام اخر بقدر ذلك يجتهد بأن يبقي النقل على اصله بدون زيادة ولا نقصان . ومن قصد الاضافة او الحذف لا يخلو تصرفه من امرين . وهما اما ان دعواه ضعيفة فيخاف . او انه يخشى ضعف قوة الاسناد *

فقد قصد هذا الخصم ان يبيّن من قول يوسيفوس المؤرخ بان الاسفار المسلّم بها منا بكونها الهية منزلة لم تكن ذات ثقة واعتماد عند اليهود *

اما يوسيفوس المؤرخ فلم يقل شيئاً من ذلك البتة . لا بل انه قال خلافاً لما ادعاه الخصم . لان قول المؤرخ اذا ما أخذ على صحته فشأنه ان يؤيد دعوانا ويشجب دعوى خصمنا . على ان كل من طالع هذه الشهادة وتأملها على ما هي وتحقق المعنى المقصود من المؤرخ لا غرو انه يقتنع تمام الاقتناع بان يوسيفوس يعلّمنا بان هذه الاسفار ليس فقط كانت ذات اسناد وان يكن اضعف مما تستند عليه الاسفار الاولية . بل انها كانت نظير الاولية ومع الاولية حائزة اعتباراً هذا حده حتى انه لم يجسر انسان ان يحذف منها او يضيف عليها حرفاً واحداً *

ثم فليكن معلوماً لديك ايها الخصم الحبيب بان علماء الابروتستانية انفسهم . اعني بهم اولئك العلماء الذين

تغلّب فيهم حب الحق على روح الاغراض قد فهموا وتأكدوا صحة شهادة يوسيفوس المؤرخ واقروا معترفين بقوتها الموافقة الاسفار المسلّم بها منا. فمنهم العلّامة فالتون وشركاوه اصحاب مقدمة الكتاب المقدس المطبوع منه بلغات مختلفة (فصل ٩ عدد ١١) . فانهم قد قالوا ان هذه الاسفار قد تسقها يوسيفوس في سلك تلك الاسفار الالهية الموحاة وان يكن اسنادها اضعف من أسناد الكتب القانونية الاولية . وذلك (قد استتلى هولاء العلما قائلين) لان هذه لم تكن فقط الهية منزلة بل انه مصرّح بكونها موحاة بحكم صحيح . فهذه السمة الاخيرة وحدها تحتاج اليها الاسفار القانونية الثانية : فهذا ما ارتأه فالتون الابروتستاني ورفقاوه . وقد رأى غيرهم من الابروتستانت سفر أيوب وسفر استير منسوقين في سلك رتبة الاسفار الاولى المذكورة من يوسيفوس . الكتب التي لا شبهة بوحيها وانزالها اصالةً : هذا ما قاله العلّامة دي فيت في مقدمة كتابه للقانون وللكتب الابوكريفا من العهد القديم سنة ١٨٣٣ *

ثالثًا واخيراً . ان اباء الكنيسة الكرام علّمونا بان اليهود ضموا الى الاثنين وعشرين سفراً المقبولة باتفاق عام ومصرّح بكونها مقدسة من حكم صحيح صادق اسفاراً ذات اسناد اضعف . وقد اكد اوريجينوس بان اليهود كانوا قابلين في قانونهم سفر ابن سيراخ (راجع حاشية وتيوس في المجلد الثالث من اعمال اوريجينوس طبع لارو) . وقد احصى القديس ايلاريوس سفر يهوديت وسفر طوبيا بين الاسفار المقبولة من اليهود (راجع

مقدمته على المزامير)*

والقديس ابيفانيوس في كتابه عن الارطقات (ارطقة ثامنة) يؤكد بان سفر ابن سيراخ وسفر الحكمة كانا معتبرين من الاسفار الالهية وان كانا مستندين على اسناد اضعف . وقد علّمنا القديس ايرونيموس في مقدمته على سفر يهوديت بان اليهود كانوا يتلون سفر يهوديت مع باقي الاسفار المقدسة *

والقديس ايزيدوروس من سيفيلا في كتابه الاول عن الوظائف (فصل ١٢) يؤكد بان اليهود قد حذفوا سفر الحكمة من قانون الكتاب المقدس حيثما كان منسوقاً اولاً . لانهم رأوا فيه تلك النبوة الصريحة بالعذاب الذي اذاقه اباؤهم لمخلص العالم *

فاذ كانت هذه الشهادات صادقة ، وترى من يقدر ان يشتبه بها او يوقع الريب على صحتها . فينتج بان اليهود الاولين لم يتفقوا اتفاقاً عاماً على حصر قانون الكتاب بعدد اثنين وعشرين سفراً كما عيّنه يوسيفوس المؤرخ *

هذا ولم يسمّ هذا المؤرخ الاثنين وعشرين سفراً باسمائها . ولذا اختلفت اراء العلماء لكيما يعرفوا ايما سفر كان منسوقاً في سلك قانونه . فكنيسة اليهود اليونانية الاسكندرية كانت تتلو علناً وجهاراً اسفاراً قانونية ثانية على ما اكد لنا اوريجينوس في مقدمته على كتابه المسمى ايكسابسلا . ثم ان السبعين مترجماً نسقوا هذه الاسفار في قانونهم . اخيراً اصحاب التلمود انفسهم ذكروا هذه الاسفار بصورة واحدة مع الكتب القانونية الاولية كما يبيّنه العلّامة رايموندوس مرتينوس في كتابه المدعو سيف الايمان *

لكن ما الحاجة لاطالة الشرح بشهادة هذا المؤرخ اليهودي . وها اننا نلتزم بيان نقبل قانونيًا الاسفار لا من فم اليهود بل من تعليم الكنيسة التي هي عامود الحق وثباته . على ان الحكم الصحيح الصادق بالكتاب ووحي الاسفار المقدسة ذلك الذي لا وجود له عند اليهود من بعد ملاخيا النبي الى يسوع المسيح قد سلّمه المسيح نفسه لكنيسته حينما قال: اذهبوا وعلموا الامم . من سمع منكم فقد سمع مني : وخصمنا نفسه يعلم ذلك حسنًا . حتى انه قد استغاث بديوان المسيح ورسله الكرام في تهمته الثالثة *

* الباب الخامس *

* في تهمة الخصم الثالثة *

قال . ثالثاً : السبب الاخير لعدم قبول هذه الكتب كجزء من الكتاب المقدس هو ان المسيح ورسله لم يقتبسوا منها شيئاً البتة فيما انه كثيراً ما اقتبسوا من سائر الاسفار : ولا شك يقول الخصم: في ان هذا برهان قاطع على انها ليست بقانونية . لان المسيح بهذه الاقتباسات قد ختم على صحة الاسفار المقدسة العبرانية واخرج الابوكريفا *

أ . اننا نجيب عن ذلك اولاً قائلين: ترى اين قد وجد مكتوباً في الكتاب المقدس بانه حتى يُقبل احد اسفار العهد القديم قانونياً ينبغي ان يُذكر من يسوع المسيح او من رسله الكرام . وان المخلص له المجد في اقتباساته المتقدم ذكرها

قد قصد تمييز الاسفار القانونية من غيرها واخراج الابوكريفا . فزعم الخصم هذا يفترض ضرورة هذا المبدا المتبنع الاثبات والمخترع منه اسنادًا لزعمه *

ثانيًا . نجيب قائلين بانه وان صحّ مدّعى الخصم وهو انه لكي يُعدّ احد اسفار العهد القديم قانونيًا ينبغي ان يُذكر في العهد الجديد لاضطر حينئذٍ الابروتستانيون بناءً على هذا المبداء المخترع منهم ان يحذفوا من كتابهم اسفارًا ويلقوا جانبًا سفر القضاة وسفر راعوث لانهما لم يُذكرا اصالةً من السيد المسيح ورسله الكرام ولم يلمحوا عنهما البتة *

ثالثًا . هل هو امر حقيقي بان يسوع المسيح ورسله الكرام لم يذكروا اصلاً الاسفار القانونية الثانية ولم يلمحوا عن اصلها ولا عن تعليمها . فالخصم قد اكّد ذلك بدون تردد ولا توقف . لكنّ اولي الخبرة والمهارة في معرفة الكتاب من جماعة الابروتستانت انفسهم لم يرتأوا بمثل هذا الرأي . بل نراهم مصادين الخصم على خط الاستقامة . على انهم في طبعهم الكتاب المقدس اولًا في جنيفا لم ينادوا علنًا ضد الاسفار المسلّم بها منا . بل انهم وضعوا حواشي على هامش الكتاب من هذه الاسفار عينها وقابلوها مع اسفار العهد القديم *

قال ريشار سيمون الابروتستاني في رده على اراء بعض اللاهوتيين فصل ١١ : ان من امعن النظر بما كتبه الرسل الكرام يرى جليًا بانهم ليس فقط قد تلوا النسخة اليونانية . بل قد كانوا يتلون ايضًا تلك الاسفار التي

http://al-maktabeh.com

يحاول البعض حذفهما زاعمين بكونها ابوكريفا : وعن هذا تكفي مطالعة مباحثات العلّامة بوصويت ضد ليبنيث في تاليفه المدعو : قصد للاتحاد : (راجع المجلد السادس والعشرين من اعماله الكاملة طبع لبسيل وجه ٣٦٢) *

فانه معلوم لدى الخصم بان ذكر الكتاب يكون على انواع شتى . فالسيد المسيح ورسله الكرام كانوا تارةً يذكرون بعض اقوال العهد القديم حرفياً . واخرى كانوا يلمحون منها تلميحاً وعلى وجه الاجمال . فانّى يستطيع الخصم الاثبات بانهم في مثل هذه التلميحات العمومية اخرجوا الاسفار القانونية الثانية . لا بل انما توجد تلميحات كثيرة وذكر اقوال مختلفة من العهد القديم لا تطبق اصلاً على المتن العبراني بل على الاصل اليوناني وهو الترجمة السبعينية التي تحتوي جميع الاسفار المسلّم بها من الكنيسة الكاثوليكية المقدسة . فاذاً قد كانت الرسل تتداول هذه الترجمة وهذه الاسفار وكانوا يتلونها ويستعملونها ويلمحون عنها . واذا كان ذلك كذلك . فقد اخطى الخصم بمدّعاه . ومع هذا قد رأينا من فحوى كلامه بانه ليس فقط لا يليق بهذه الاسفار ان تُذكر بين الاسفار المقدسة بل انه لعار احصاؤها فيما بينها . وهذه هي تهمته الرابعة *

* الباب السادس *

* في تهمة الخصم الرابعة *

قال الخصم: انه يوجد في هذه الاسفار دلايل بيّنة تبرهن انه لم يكتبها اناس ملهمون من الله . لان الكتب التي تتضمن اكاذيب وهي مشحونة بقصص سخيفة ومضحكة او تضاد تعاليم كتاب الله الصريحة التي توافق بعضها بعضاً في كل الكتاب لا يمكن ان تكون قانونية من الله : *

فقد لاح من كلام الخصم بان الاسفار القانونية الثانية تحتوي اكاذيب وقصصاً سخيفة مضحكة وتعليماً يضاد تعليم الاسفار القانونية الاولى . والحال ان الروح القدس لا يوحي الكذب والقصص السخيفة والتعاليم المناقضة . فان كانت دعوى الخصم صادقة الاسناد وجب رذل الاسفار الموما اليها والغاوها من بين الاسفار الموحاة . فلا غرو ان هذا برهان قوي لكن ترى على ايها شيء قد بنى الخصم مدّعاه واسند حجته . فهاك ادلّته *

اولاً . ان خصمنا قد رأى في سفر طوبيا البار بان الملاك رافائيل قد كذب اذ اخبر طوبيا وابنه بانه هو عازاريا ابن حانانيا العظيم (طوبيا ص ٥) * وفي الاصحاح السادس منه رأى بان السحر قد أعد امراً ممدوحاً *

ثانياً . قد رأى هذا الخصم في سفر يهوديت دعاء هذه الامرأة الشجاعة وهذا الدعاء مكروه ممقوت . اولاً لان يهوديت استغاثت بالاله الذي انتقم بيد سمعان ابن يعقوب من

فعل ابن ملك اشخيم بدينا اخت سمعان المذكور (يهوديت ص ٩ ع ٢)* ثانياً ، ان هذا الدعاء كان مكروهاً لان يهوديت الشجاعة قد التمست من الرب أن يخدع عدو اسرائيل بمحاسنها ويقتله بسيفه (يهوديت ص ٩ ع ١٣ و ١٥)*

ثالثاً ، رأى الخصم في سفر المكابيين الثاني (ص ١٤ ع ٤١ و ٤٢)* بانه قيل عن رازيا الذي طعن نفسه بسيفه ان شهامته حملته على ان يفضّل الموت على الوقوع بين ايدي الخطاة وعلى مقاساة اهانات لا تليق بشرف اصله ، ورأى ايضاً ان صاحب هذا السفر قد ختم كتابه ملتمساً المعذرة عن هفوات يكون قد ارتكبها ، لامر الذي لما كان فعله لو كان حقيقةً ملهماً من الله *

اخيراً قد استغلى الخصم كلامه قائلاً : انه لكان طال معه الشرح لو شاء تبيان كل المعائب المانعة هذه الاسفار في عدد القانونية :*

هات الآن نبحث عن كل هذه الادلّة المقدمة من الخصم الى ان ينشرح خاطره ويظهر للعيان ما استحسن الآن كتمانه *

اولاً انا نبحث مدققين عمّا نسبه الخصم من الكذب الى الملاك رافائيل ولنصغ سمعاً بهذا الشان للعلامة دروسيوس المدعو من بوصويت اعلم مفسرين لابروتستانت ونرى ما الذي ارتآه هذا العلّامة بالذين يتوهمون الكذب في قول الملاك رافائيل ، فقد ازدرى دروسيوس وتهكم قائلاً : يا لعظم ذكاء اولئك الذين يتوهمون الكذب في هذا القول ، كان مثل هذه الاكاذيب لا وجود لها في الاسفار القانونية الاولية ، ليت شعري أما قد دُعي الشيطان صامويل وذلك في سفر

الملوك الاول (ص ٢٨) *

لعمري اننا لا نرى في قول الملاك رافائيل كذباً اقوى ممّا قد ذكره سفر التكوين (ص ٣١ ع ١٣) حيثما قال الملاك عن نفسه ليعقوب : انا هو اله بيت ايل: هذا ما يحظه كلفين ذاتهِ في تفسيره هذا العدد. فان كان الخصم قد زلّ سفر طوبيا بسبب قول الملاك رافائيل فيجب عليه ان يرزل سفر التكوين ويلغيه من الكتاب المقدس المعمول به عندهم *

فالملاك رافائيل باتخاذه هيئة عازاريا واستحضاره اياه لم يستطع ان يتخذ اسم عازاريا ويتكلم عنه بدون ان يكذب. كما ان ذلك الملاك الذي خاطب يعقوب باسم الرب قال عن نفسه : انا هو اله بيت ايل. هذا وانه اذا ما اعتبرنا معنى الاسماء التي اتخذها رافائيل تأكدنا صدق مقاله. على ان معنى عازاريا بالعبرانية عون الله وحانانيا نعمة الله. ليت شعري أما ان الملاك رافائيل كان مرسولاً حقيقةً لمعونة طوبيا. اما انه كان حقيقةً ابن النعمة والرحمة. فلا غرو بان خصمنا لا يجهل ما علّمنا اياه القديس غريغوريوس قائلاً: ان الملائكة لا تتخذ اسماءها من نفس طبيعتها بل من الخدمة التي يستخدمهم الله لها. وهذا كافٍ لدحض ما ادّعاه الخصم من الكذب في قول الملاك رافائيل *

لكن ترى ما الذي يقتضي ان نقوله عمّا اتهم الخصم به الملاك من السحر. فلنبحثنّ عما فعله هذا الملاك. قال الملاك لطوبيا الصغير بانه اذا ما القى طوبيا هذا على النار المتقدة جزءاً من قلب السمكة التي وثبت عليه فانه يبعد

الشيطان ويصده عن مصرته (ص ٦ عـ ٨) * ولما كان طوبيا مع عروسه سارة اكمل ما كان امره به الملاك . فقبض حينئذ رافائيل على الشيطان وقيّده في برية مصر العليا (طوبيا ص ٨ عـ ٣) * وعلى هذه الصورة يكون الملاك استعمل صناعة السحر لانه طرد الشيطان باستخدامه جزءًا ماديًا وصدّه عن مصرة من كان جاء كما يتهم . لعمري خليقٌ بنا ان نقول باننا قد رأينا من جهل الاسماء الحقيقية . يا ايها الخصم الحبيب نشدتك الله قل لنا . هل ان المسيح لاسمه السجود استخدم صناعة السحر بطرده الشياطين واشفائه لاكمه بطين بصق عليه . أما ان السحر يتضمن جوهريًا اكرامًا يُقدّم للشيطان . قُل لنا ما هو الاكرام الذي قدّمه الملاك للشيطان باعدامه اياه المقدرة على مصرّة طوبيا وعروسه واستخدامه لذلك قوةً شاء الله تعليقها على قطعة ماديّة لازدياد اهانة ذلك الروح المتكبر . لا شك بان خصمنا كان ساهي العقل عند ما ابرز هذه التهمة . فقد نسي حقيقةً ما هو معنى السحر ولماذا حُرّمت هذه الصناعة المقوتة . فلا بأس من ذلك فقد فطر الانسان على الغلط *

ثالثًا . وما قولك عن دعاء يهوديت . فان الخصم رأى هذا الدعاء ممقوتًا لان تلك المرأة الشجاعة استعانت بالاله الذي انتقم عن اغتصاب دينا بسيف اخيها سمعان بن يعقوب . ثم ولانها التمست من الرب ان يخدع اوليفيرنا بمحاسنها ويقتله بسيفه . أهل يظن الخصم بان يد الله لم تدخل في العقاب المتجه نحو

المذنب المتقدم ذكره ونحو الذين ساعدوه فعلاً ومصادقةً . أهل ان الله تعالى لم يستطع ان يستخدم غضب ابنيّ يعقوب ليعاقب المذنبين . فقد يعترضنا الخصم قائلاً : ان الانتقام كان جسيماً ولذا قد عنّف يعقوب اولاده : فهذا امر مسلّم به ولا منازع له . لكن ليت شعري أهل انه لا يوجد شيء حسن في ما قد حرك سمعان ولاوي على هذا الانتقام سواء كانت فظاعة الذنب المرتكب ضد اختهما او الغيرة التي ابديا هما للانتقام من ذلك الذنب . لماذا لا يرى الخصم في دعا يهوديت مدحها غيرة ابني يعقوب وكبر شهامتهما . لماذا طلب مدحها في تجاوزهما الحدود لا في مبدا ما حرّكهما على العمل . وهب ان يهوديت قد مدحت من فعل ابني يعقوب ذاته . فما الملام على صاحب سفر يهوديت . فانه قد قص دعا هذه الامرأة الشجاعة على ما فاهت به . فاذاً بايما حق ٍ نلقي على الروح القدس نفسه المسئولية عن كل ما حرّك قلب تلك الامرأة الشجاعة . ترى اذا ما وجد في ذهنها اوهام تعذرها سلامة نيتها أيليق بعاقل ان ينسبها الى الروح القدس . أهل ان الروح القدس لا يلهم الكتبة الالهيين اذا ما اوردوا اخباراً قبيحة في ذاتها . فقد اخبر الكتاب عمن سرق ونهب وعمن قتل وعمن زنى وعمن كفر وهذه كلها افعال قبيحة بذاتها . أهل برح الكتاب المقدس من ان يكون موحيًا من الله لان كتبته قد اوردوا اثام بعض الناس *

اخيرًا يا ايها القاري الحبيب ترى ما هو فعل هذه الامرأة الشجاعة . ان هذه الامرأة الباسلة قدّمت ذاتها ضحيةً لاجل خلاص شعبها

والتمست من الله ان يمكّن شجاعتها ويثبّت ذراعها ويبارك مقصدها. على انها ارادت ان تخلّص المدينة المحاصرة بذبحها من قد كان حلف على هلاك سكانها . لانهم ابوا ان يسلّموا ذواتهم لبختنصر الملك ويكرّموه كاله. فقد استقبح الخصم دعاء هذه الباسلة واستشنع مقصدها. فعليك ايها القاري ان تجاوب عنا *

ثالثًا . لكن هاك ما كان فظيعاً جسيماً وهو المصادقة على قتل الذات . على ما رأه الخصم في سفر المكابيين الثاني . ترى ما الذي تراه في هذا السفر. فانك ترى قصة موت شيخ جليل الشان استحق ان يُدعى ابًا للشعب لشدة غيرته وكثرة محبته له. فقد طعن ذاته بسيفه لئلا يقع بين ايدي عدو ظالم ظانًا بانه اولى به ان يموت بمثل هذه الميتة من ان يقع بين ايدي الخطاة ويقاسي ما لا يليق بشرف اصله . قد اخبرنا صاحب السفر الالهي الملهم من الروح القدس عن موت هذا الشيخ الجليل وعن الشعائر التي حركته على هذا العمل . فلربما قد انخدع هذا الشيخ منغشًا بامر هذا الفعل وارتكبه بنية سليمة. وعلى كل أهل يمتنع ان يكون الكتاب موحيًا ملهمًا . أهل ان الروح القدس هو فاعل لكل ما تقصه الاسفار القانونية من مثل هذه الحوادث الاثيمة. وقد يكون تحرك رازيا الى هذا العمل من روح الله ذاته . هكذا قد ارتأى كثير من الاباء القديسين . أهل ان الاله الذي امر ابرهيم ان يضحّي ابنه اسحق (تكوين ص ٢٢ ع ٢) * لا يستطيع ان يأمر هذا الشيخ بان يموت على هذه الميتة *

فكيفما تأملنا موث رازيا لا نرى قصة موته تعطي محلاً لرذل الاسفار الواقعة تحت الجدال *

ترى وهل يوجد شيء اجمل من تلك الكلمات التي انهى بها صاحب السفر كلامه حيثما قد التمس العفو قائلاً : ان لم يكن مستحقاً كالواجب فليعفَ عني: فقد رأى الخصم بذلك ان صاحب هذا السفر لم يكن ملهماً . أهل ترتأى يا صاح بان الوحي يجعل الرجل الملهم جثةً مأسورة لحركة الروح، لا غرو انك قد اطلعت على الاسفار المقدسة أفما قد رأيت من اختلاف نفسها تلك الطرق التي اتبعها كتبتها بان هؤلاء الكتبة الذين قد كتبوا بالهام روح الله لم يكونوا الة جامدة محضاً وجثةً تحت حركة الالهام ، فهب على ان الكاتب الالهي تحرك من روح التواضع كما كان جري لصاحب سفر المكابيين واستصوب طلب العفو باعتبار ضعفه الذاتي وضعف عمله ، فترى من يفتكر بانه يوجد في مثل هذا الطلب سبب لرذل الالهام . أهل ان تواضع كاتب الوحي يناقض الوحي ، او هل ان الروح القدس نفسه لا يلقي في نفس الكاتب مثل هذا التواضع *

فهذه هي الاعتراضات القوية التي رأها الخصم ضد الاسفار المسلّم بها منا واخذها من نفس معناها، فحقًا كان خليقاً به عدم اظهار هذه الادلة للعيان فكان ذلك خيراً للدعوى التي زعم المدافعة عنها *

اخيراً قد استتلى خصمنا كلامه قائلاً : انه يسهل عليه جداً

ان يأتي بادلّة غير هذه من نفس الاسفار ضد انزالها . فاننا نحثّه على اظهارها ونشور عليه بخلوص الوداد ان يختار احسنها وامكنها فاننا نبتغي ان نبيّن قيمتها وقوتها . ولا غرو بانها ليست باعتراضات جديدة تلقيها الابروتستانت علينا . بل انها قديمة العهد وهم يجددونها دائمًا مع انها طالما قد دُحضت . واننا نقرّ معترفين بان لا فضل لمن يجاوب عليها حيث شهرة سخافتها . وعلى كلٍ فاننا مستعدون دائماً للقيام بما به انشراح خواطر خصمنا الحبيب *

* الباب السابع *

* في تهمة الخصم الخامسة *

* وهي تحتوي شهادة القديس يوستينوس وميليتو والعلاّمة اوريجانوس *

قال خامسًا : ان هذه الكتب كانت مرفوضة من الكنائس المسيحية الاولى ومن افضل اباء الكنيسة الاتي ذكرهم : *

فقد استغاث خصمنا بحكم الكنائس الاولى وبشهادة بعض الاباء القديسين . فاننا نأخذ اولاً بالبحث عن هذه الشهادات فيتضح لنا فيما بعد ان كان ما اكده الخصم بدون دليل ولا برهان عن حكم الكنائس الاولى موافقًا للحق *

هات الآن نبحث عن شهادات اباء الكنيسة الكرام . تذكرنّ اولاً ايها القاري الحبيب ما قد قلناه في اول هذه الرسالة . وهو انه قد يوجد اختلاف بين علماء الكنيسة الكاثوليكية على بعض مسائل دينية غامضة في ذاتها ولم يكن ديوان بيعة الله المقدسة

المقام منه تعالى كحسم الامور الدينية قد ابرز حكمه الجازم عليها، ومن ثم قبل ان كان ابرز قضاة الايمان الالهي حكمهم القاطع وعينوا قانون الكتاب المقدس قد كان ممكناً ان يرتاب ببعض اسفار الهية لاحت ذات ادلّة ضعيفة في تأييد صحة انزالها . فلذا كان الجدال وقتئذٍ ممكناً ومباحاً . فبالحالة هذه لا عجب اذا ما رأينا بعض الاباء قد تكلّموا ضدها . فمجرد شهادتهم بهذا المعنى تدلّ فقط بان الجدال عليها كان حينئذٍ مباحاً ، ولا يمكن الاستنتاج بان هذه الاسفار لم تكن الهية موحاة ما لم يبيّن بقوة شهادات عديدة بان الاعتقاد بعدم انزالها كان عاماً . اما الخصم فقد ظن بانه اثبت عدم انزال هذه الاسفار بايراده شهادة ثمانية من اباء الكنيسة العظام . لكنه اذا ما امعن القاري النظر واحسن التأمل بهذه الشهادات اتضح لديه بانه من الممتنع انها تأتي بحجة راهنة ضد انزال هذه الاسفار الواقعة تحت الجدال . بل انما يتأكد ان تعليم هولاء الاباء الفخام ممّا يضاد مدّعى الخصم تضاداً بيّناً *

قال : الاول يوستينوس الشهيد الذي هو من اشهر معلمي المسيحيين في الجيل الثاني وهو لم يورد آيةً واحدة في كل تآليفه من احد اسفار الابوكريفا : *

ليت شعري اذا ما سلّمنا لخصمنا بذلك ترى ما الذي ينتج من مدّعاه ضد صحة انزال هذه الاسفار . فقد رأينا هذا الخصم لدى توهمه سكوت السيد المسيح ورسله الكرام حاول مرةً ان يتخذ من ذلك دليلاً يوافق مدّعاه . لعمري انها لنعم

الدعوى التي تفتقر الى مثل هذه الادلّة . فيا ايها الخصم الحبيب انه لكيما تستطيع ان تتخذ لك من سكوت القديس يوستينوس دليلاً يوافق مدعاك ضد الاسفار القانونية الثانية يجب عليك ان تثبت بان هذا القديس ليس فقط قد ذكر سائر الاسفار المقدسة بل انه قصد ايضاً ان يذكرها جميعها . والّا فكل عاقل ينسب بالاحرى سكوت هذا القديس لاسباب اخرى ممّا الى رفضه هذه الاسفار *

اما نحن فاننا نرى في تآليف هذا الشهيد ما زاد على سكوته الموهوم منك . على انه في مكالمته مع طريفون اليهودي عدد ٧٢ وعدد ١٢٠ قد وبّخ اليهود لانهم حذفوا من الكتاب المقدس شهادات لا توافق مدّعاهم . لا بل وقد وبّخهم ايضاً . لانهم كانوا يقصدون ان يحذفوا غيرها ايضاً لو ادركوا معانيها . ليت شعري أما عثر خصمنا الحبيب على هذا النص الصريح . وهل يجهل ايضاً بان كثيرين من الاباء الكرام قد اقاموا ضد اليهود مثل هذه التشكيات وبيّنوها واثبتوها ضدهم . فاذاً كيف اراد الخصم الذي قد طالع تآليف القديس يوستينوس وغيره من الاباء ان يحيلنا على اليهود لكي نتعلم منهم ما هي اجزاء كتاب الله . فان كان لم يأتِ هذا الشهيد باية من الاسفار القانونية الثانية . مع ذلك فانه قد علّمنا صريحاً بتشكيه منهم بانهم تلاعبوا في اصل الكتاب وانبأنا بان لا نعتمد عليهم لكيما نعرف ما هي الاسفار التي تحتوي كلام الله . فاذا كان ذلك كذلك فقد عادت شهادة القديس يوستينوس ضد دعوى الخصم نفسها *

قال : الثاني ميليتو الذي عاش في اواخر الجيل الثاني وهو من اقدم الاساقفة في كنيسة ساردس احدى الكنائس السبع المذكورة في سفر الرؤيا ص ١ و ص ٣ . وكان مؤلفاً شهيراً وكلامه ذا تأثير في المسيحيين الاولين وهو يعطينا جدول اسماء الاسفار المقدسة . وهذا هو الجدول الاول الذي وصل الينا من الكتبة المسيحيين بعد ايام الرسل لا يذكر شيئاً من كتب الابوكريفا . وجدوله يتفق تماماً مع الجدول الذي اوردناه آنفاً من قول يوسيفوس . سوى انه كما يبان قد ضم عزرا ونحميا واستير في كتاب واحد : *

ان ميليتو قد اعطى في السنة السبعين بعد المائة جدول الاسفار القانونية ولم يذكر فيه جدول الاسفار القانونية الثانية : فهذا هو برهان الخصم المتصل غير المنفصل . وهذا هو ايضاً عين نقض ادلته المخلة *

فقبل ان نستنتج من سكوت ميليتو بانه قد رفض الاسفار التي لم يذكرها يليق بنا اولاً ان نذكر الغاية التي قصدها باعطائه هذا الجدول . فلا بد من ان الغاية المقصودة منه تبين لنا سبباً اخر كان علة سكوته خلافاً لما ادّعاه الخصم من رفض الاسفار . فقد شق علينا جداً استغراق افكار الخصم بتوهمه صحة دعواه على انه قد جعله لا ينتبه على مقصد ميليتو ولا لكان اراح نفسه من ثقلة ذكره اياه . على ان غاية هذا الرجل كانت على ما علّمنا التاريخ هو ان انيزيموس قد كان طلب منه جدول اسفار العهد القديم غير الواقعة تحت جدال . فجال ميليتو سورية

وفلسطين قاصداً ان يعرف متأكدا ما هي الاسفار غير الواقعة تحت جدال، ومن ثمّ اعطى جدولها (راجع اوسابيوس في تاريخه الكنائسي كتاب ٤ فصل ٢٨) *

فقد نتج من ذلك بان ميليتو لم يضع في جدوله اسفاراً واقعة تحت الجدال لعدم اعطاء حكم شرعي جازم عليها سواء كان من لدن كنيسة اليهود او من لدن الكنيسة الكاثوليكية *

فاذاً اتضح من الجدول الذي اعطاه ميليتو عن الاسفار غير الواقعة تحت جدال كما لحظه اوسابيوس بانه وجد حينئذٍ اسفار واقعة تحت الجدال لريب شابها، لكنه لم ينتج بان تلك الاسفار كانت مرذولة او انها بشرية محضاً، لاسيما لان الريب الذي كان واقعاً عليها كان نظرياً محضاً، لان عملية جميع الكنائس واستعمالها تلك الاسفار مما يؤيد انزالها، وهذا يتضح لنا فيما بعد *

قال الخصم : ان الجدول الذي اعطاه ميليتو يوافق الجدول المذكور من يوسيفوس، واكال لم يذكر ميليتو سفر نحميا ولا سفر استير: فمن ثمّ تخلصاً من هذا الارتباك اخذ خصمنا الخبيث زاعماً بانه من البيّن بان هذين السفرين قد انضما مع سفر عزرا، فعفواً اتى بهذه الملاحظة وعفواً ننكرها عليه، كما انه ينكر عليه ايضاً رفضه هذه الاسفار بدون دليل ولا برهان، فمن المؤكد هو ان ميليتو لم يذكر هذين السفرين لا بل صحة نقل الكتاب لا يعطي محلاً لكي ننسب ذلك الى سهو كان من الناقل، فينبغي اذاً ان نتج بان الذين اعتمد ميليتو رائهم كانوا

مرتابين بقانونية هذين السفرين مع انهما من الاسفار القانونية الاولى . ولا يمكننا ان نستنتج رفض الاسفار القانونية الثانية *

قال : الثالث اوريجينوس الذي كان بعد المسيح بنحو مايتي سنة وقد اشتهر جداً في معرفة الكتاب المقدس وهو يقول لا يسوغ ان نجهل ان الكتب القانونية هي ذات الكتب التي سلمنا اياها العبرانيون وعددها يوافق عدد احرف الهجاء في اللغة العبرانية . ثم يورد اسماء هذه الكتب على الترتيب في اليوناني والعبراني وهي طبق الجدول المذكور آنفاً : *

ان من كان على قليل من المعرفة في تآليف العلّامة اوريجينوس يفتكر وفاقاً لما حاول الخصم تبيانه وهو انه بموجب رأي هذا العلّامة انما الاسفار المقدسة التي يجب ان نعدّها قانونية هي الاسفار المقبولة من اليهود وحدها دون غيرها . واكال ان اوريجينوس لم يدّع ـ ذلك اصلاً . بل انه لما قال هاك الاثنين وعشرين سفراً المقبولة من اليهود الخ (راجع اوسابيوس في تاريخه الكنائسي . كتاب ٦ فصل ٢٥) * لم يكن الّا ناقلاً معتقد اليهود بالاسفار ولم يقل بل ولم يقصد القول بانه ارتأى نظير رأيهم . فكيف يمكن بان هذا العلّامة يكون قد رفض هذه الاسفار وقد دعى سفر الحكمة وسفر حكمة ابن سيراخ وسفر طوبيا وسفري المكابيين كلام الله وكتاباً مقدساً (راجع فينجيزي في محاماته عن جلسة المجمع التريدنتيني الرابعة) *

اي نعم قد ذكر هذا العلّامة الاسفار الثانية ولم يلتفت

الى زعم اليهود . بل وقد صرّح قائلاً بانه في امر انتخاب الكتاب المقدس لا ينبغي ان نسمع الاّ لحكم بيعة الله المقدسة . ثم انه في تفسيره انجيل متى بعد ان ذكر آية من الاصحاح الثالث عشر من دانيل استتلى كلامه قائلاً : اني قد استعملت هذه الكلمات من دانيل مع اني متأكد بانها لا توجد في الاصل العبراني . فحسبنا بذلك قبول كنائسنا اياها (في تفسيره على انجيل متى مجلد ٣ وجه ٨٧٩ ممّا طبعه دي لاروي) *

لعمري أهل قد احالنا اوريجينوس على اليهود حسب ما زعم الخصم لنتعلم ما هي الاسفار المقدسة القانونية . والحال قد رأينا هذا العلاّمة الجليل يهزأ مزدرياً بمن يذهب الى اليهود مفتشاً على حقيقة الاسفار الالهية متهكماً عليهم قائلاً، فاذاً يقتضي ان نُلاشي النسخ التي نستعملها ونسترحم من اليهود عسى ينشرح خاطرهم ويكرموا علينا بنسخة اصلية خالصة . فاذا كان ذلك كذلك فينبغي ان نشكو من امر العناية الالهية التي اعطت الكنائس كتباً لبنيانها ولم تسهر على خلاص المؤمنين الذين افتداهم المسيح بدمه الكريم : *

فحبّاً بالاختصار ابينا الاطالة بهذا الشان والاّ لكنا اوردنا شهادات عديدة لا يشوبها ريب تؤكد لنا بانه ينبغي ان نعتمد على الكنيسة لا على اليهود وذلك لنتعلم منها ما هي الاسفار التي يجب ان نعتبرها الهية منزلة وما هو التعليم الذي تحتويه تلك الاسفار، فسياق كلامنا بالرد على خصمنا يأتينا بشهادات اخرى

شأنها ان تؤيد حجتنا. اما الآن فاننا نكتفي بما قاله القديس اغستينوس بهذا الصدد . فقد رأينا هذا العلامة الجليل يستغيث مستنداً دائماً على قانون الكنيسة دون قانون اليهود. فقال: ان اليهود لا يقبلون سفري المكابيين في قانونهم. اما الكنيسة فتقبل هذه الاسفار (على ما في تأليفه عن مدينة الله كتاب ١٨ فصل ٥٦) : وبعد ان تكلم عن اسفار العهد القديم التي حافظ اليهود عليها. قال: انه توجد اخرى غيرها ينبغي ذكرها ههنا فانها قد كتبت قبل مجيء المخلص ومع ان اليهود لا يقبلونها فكنيسة المخلص تقبلها. ومنها سفر الحكمة وابن سيراخ (على ما في كتابه المسمّى المرآة طبع البينيديكتيين مجلد ٣ جزء ١) وهكذا قال من سفر يهوديت *

ومن ثم قد رأينا اوريجينوس والقديس اغستينوس وجميع اباء الكنيسة الاولين يطلبون سلطة التقليد وسلطة الكنيسة دون تقليد اليهود وسلطة كنيستهم . وقد ذكروا جميعهم لدى الفرص الاسفار والآيات المقبولة من الكنيسة بدون ملاحظة قانون اليهود . فاذاً قانون اليهود ليس هو قاعدة قانوننا ولا يمكن ان يكون قاعدة لقانوننا *

اي نعم قد وجدنا قانون اليهود مذكوراً من الاباء في كتبهم الى المسيحيين المرتدين عن الوثنية او عن اليهودية . فكان الواجب على الخصم ان يعرف السبب الحقيقي بذلك . هذا اذا كان منتقداً حقيقةً . فواحالة هذه ترى لماذا كانت اباء الكنيسة تذكر قانون اليهود . انهم قد قصدوا بذلك اولاً تسهيل التعليم على المرتدين عن اليهودية فاحالوهم الى اسفار

كانوا قرأوها وتأملوها وكانت تستعملها اليهود غير المرتدين لمحاربة الايمان المسيحي (١) . ثانياً قصدوا ان يعطوا الامم اقوى دليل عن صحة الاسفار القانونية الاولى وعن تتميم النبوات المحتوية فيها . ومن ثم كانت الاباء تسمّي اليهود الذين كانوا يحسون عندهم هذه الكتب كتبيّ الكنيسة وخدّاماً يحملون كتب اولادها *

قال القديس اغستينوس : قد سخّرتهم العناية الالهية بحمل كتب تمجدهم وتبنينا (على ما في تفسيره المزمور ٥٦ ـ ٩) * وهكذا دعتهم الاباء عبيدنا تشبيهاً باوليك العبيد الذين كانوا يحملون كتب اولاد ساداتهم ويذهبون بخدمتهم الى المكاتب *

اما من ادّعى بان هولاء الاباء الكرام كانوا يستعملون قانون اليهود لكي يعيّنوا قانون الكنيسة . فانه يقصد ان ينسب لهم ما لم يخطر في بالهم بل وما كانوا يرفضونه *

اما لفظة ابوكريفا التي تفهم بها الاباء القديسون الاسفار القانونية

---

(١) حاشية . فتسهيلاً للمؤمنين لكي يحسنوا محاربة اخصامهم بنفس اسلحتهم كانت اباء الكنيسة وعلماؤها يذيعون الكتاب المقدس بتمامه ويبيّنون فيه فرق الاصل العبراني عن الترجمة اليونانية او اللاتينية . هذا ما قصده اوريجينوس في تأليفه المسمّى ايكسابلا (راجع رسالته الى افريكانوس عدده طبع البينيديكتيين) . ومثله القديس ايرونيموس في ترجمته الكتاب المقدس عن الاصل العبراني . (راجع مقدمته على المزامير) *

الثانية المقصود بها هو ان هذه الاسفار كانت تفتقر الى حكم خارج صحيح شرعي يستند على سلطان مرسوم من المسيح لكي يعترف بها الجميع بدون منازعة ولا جدال وتوضع في رتبة واحدة مع سائر الاسفار الالهية . فمن ثم لم تظهر براهين انزالها مثل براهين غيرها من الكتب الالهية ولذا قد ارتاب بها كثيرون *

* الباب الثامن *

* في تهمة الخصم الخامسة ايضاً *

* ويحتوي شهادة القديسين الكرام اثاناسيوس وغريغوريوس * * وكيرللوس ويوحنا الذهبي الفم *

فبعد ان ذكر الخصم العلّامة اوريجينوس الجليل اخذ يذكر القديس اثاناسيوس والقديس غريغوريوس النزينزي والقديس كيرللوس الاورشليمي والقديس يوحنا الذهبي الفم . ولم يدّع فقط بان هولاء الاباء العظام قد ذكروا قانون اليهود بل انه قد استتلى كلامه قائلاً : انهم قد علّموا المؤمنين بان لا يقبلوا سفراً اخر في قانون العهد القديم خلا الاسفار المقبولة من اليهود : هذا ولم يذكر شهادةً من اقوال هذه الاباء تأييداً لمدّعاه حتى وانه لم يذكر مكاناً من تآليفهم توجد فيه مثل هذه الشهادات اثباتاً لزعمه . ليت شعري هل توهّم هذا الخصم الحبيب بان القاري يقبل مدّعاه لمجرّد مقاله . لا شك بانه لقد كان يستطيع ان يذكر من تآليف هولاء الاباء الكرام تلك الاماكن التي يتكلمون فيها عن قانون اليهود . لكنا نلتمس من هذا الخصم الحبيب لا بل

واننا نكلفه ان يأتينا بشهادة قد رزل بموجبها هولاء الاباء العظام الاسفار غير المحتوية في قانون اليهود وحرّموا استعمالها على المؤمنين *

فان الحقيقة على خلاف ما يدّعيه . لان الكنائس كانت تقبل وتعتبر هذه الاسفار بمعرفة هولاء الاساقفة العظام وتعليمهم . فاننا نعلم حسناً وتستند معرفتنا استناداً وطيداً على شهادات عديدة صادقة بان هولاء الاباء الكرام كانوا يستعملون تعاليم هذه الاسفار واقوالها تأييداً لحقائق الايمان المقدس . وقد استعملوها في جدالات شهيرة افحموا بها الاراطقة وهذا دليل واضح على انهم كانوا يعتقدون فيها كلام الله المنزل *

فقد استعملها القديس اثاناسيوس لا مرةً واحدةً بل مرات عديدة وذلك في اماكن كثيرة من تآليفه المختلفة . على انه قد اثبت ازلية الكلمة من قصة سوسنة ومن اقوال باروخ النبي فقال : قد دعته سوسنة الهاً ازلياً وقد كتب عنه باروخ قائلاً: اني اصرخ الى الازلي مدة حياتي ومن الازلي انتظر خلاصي (في خطابه الاول ضد الاريوسيين عدد ١٢ طبع البينيديكتيين مجلد ١ وجه ٤١٦) . وقد ذكر في محل اخر ايمان الثلثة الفتيان في الاتون البابلي ضد كفر الاريوسيين وفي خطابه الثاني ضد الاريوسيين على ما طبع عند البينيديكتيين مجلد ١ وجه ٥٣٩) * وقال ان الله ذاته قد نص اقوال سفر الحكمة (في خطابه ضد الامم عدد ١٧ على ما طبع عند المذكورين مجلد اول وجه ١٧) * وفي الابولوجيا ضد الاريوسيين عدد ١١ وفي الابولوجيا الذي قدّمه لقوسطانسيوس عدد ١٧ . ذكر سفر طوبيا بما انه كلام الكتاب الالهي . اخيراً في تفسيره المزمور

الثامن والسبعين قد فسّر استشهاد الاخوة المكابيين المذكور في كتاب المكابيين الثاني *

والقديس غريغوريوس النزينزي قد اثبت بان الله غير هيولي وغير محدود واسند اثباته على اقوال ارميا النبي واقوال سفر الحكمة ذاكراً اياها تحت اسم كتاب الله (على ما في خطابه الثامن والعشرين عدد ٨ على ما طبع عند البينيديكتيين وجه ٥٠٠) . ومن جملة شهادات العهد القديم والجديد التي جمعها تأييداً لتساوي الكلمة بالجوهر قد ذكر سفر الحكمة وانهى كلامه قائلاً : أهل يسوغ نكران هذا المعتقد بعد ان اطّلعنا عليه في الكتاب المقدس (في خطابه التاسع والعشرين عدد ١٧ طبع البينيديكتيين وجه ٥٣٥) . وقد اثبت لاهوت الكلمة بشهادة باروخ النبي وقال : ان صحة اقواله معروفة من الكاثوليكيين والاراطقة ايضاً (في خطابه الثلثين عدد ١٣ طبع البينيديكتيين وجه ٥٤٩) . وقد ذكر قصة سوسنة باسم نبوة (في خطابه السادس والثلثين عدد ٣ طبع المذكورين وجه ٦٣٧) . ودعى سفري المكابيين اسفار العهد القديم (في خطابه الخامس عشر عدد ١٢ وجه ٦٩٨) . وقد استعمل اقوال سفر ابن سيراخ واقوال سفر طوبيا وبعض القطع الواقعة تحت الجدال من سفر استير (في القصيدة التاسعة والعشرين) *

والقديس كيرللوس قد قبل سفر باروخ ورؤيا يوحنا (في تعليمه الرابع عدد ٣٣ طبع طوتي وجه ٦٩) . وذكر سفر الحكمة وابن سيراخ وبعض قطع من سفر دانيل على انها كلام الله (في تعليمه الرابع ايضاً . راجع طبع طوتي وجه ١٦٥ و٢٣٣ و٢٠٠

http://al-maktabeh.com

و ١٢٧ و ٢٦١) . اخيراً في تعليمه الرابع قد اخضع الى حكم بيعة الله المقدسة كل ما اختص بالقانون *

والقديس يوحنا فم الذهب قد قبل اسفار طوبيا ويهوديت والحكمة وابن سيراخ والقطع الواقعة تحت الجدال من سفر دانيل وسفري المكابيين ، وقد اعرب معانيها وفسّرها كما قد اعرب وفسّر الاسفار القانونية الاولى . وقال : ان سفر الحكمة يتضمن نبوة عن الخلاص (راجع مختصر الكتاب المقدس طبع مونفونكون مجلد ٦ وجه ٣١٢ و ٣٧٨) *

فلا حاجة لذكر شهادات اخرى على ان هذه جميعها مأخوذة من اقوال هولاء الآباء الكرام المتفق على صحتها ، وكل مطالع عاقل يستطيع الوقوف على حقيقتها *

فهذه الشهادات جميعها تبيّن جلياً بان هولاء العلماء الفخام الذي اعتز بهم الخصم قد سلّموا بالاسفار القانونية الثانية *

* الباب التاسع *

* في تهمة الخصم الخامسة ايضاً *

* ويحتوي شهادة القديس ايرونيموس *

هات الآن نبحث عن شهادة القديس ايرونيموس الجليل ، اننا رأينا الخصم قد ابقى شهادة هذا العلامة الجليل الى اخر دفعة متوهماً بانها اقوى الاسلحة عنده . فلا غرو ان القديس ايرونيموس هو علامة عظيم وقوله في كل ما اختص بالكتاب المقدس ثابت مكين ، حتى ان بيعة الله المقدسة تدعوه في نهار

تعييك علامة اعظم في ترجمة كتاب الله المقدس . وما ذا الا حجة قوية ضد ما اورده الخصم . على انه كيف يتفق بان بيعة الله المقدسة تدعو هذا القديس علامة عظيماً بامر الكتاب المقدس ويكون قد رذل اسفاراً اعتبرتها دائماً هذه الكنيسة واعدّتها الهية وصرّحت بكونها موحاة منزلة باحكامها الرسمية . فكيف تفسّر لنا يا صاح تصرف بيعة الله هذا . أهل تزعم متوهماً بان بيعة الله المقدسة واساقفتها وعلماءها لا يدركون اقوال هذا العلامة الجليل *

هذا وعندنا برهان اخر قاطع جازم وهو انه قد وجد بعض العلماء الذين لسوء فهمهم اقوال القديس ايرونيموس نسبوا اليه ما توهّموا بانه ارتاءه . اي انه نظراً لاسفار العهد القديم ينبغي الاعتماد على قانون اليهود وحدهم . فمن ثم كان خصمنا من عدد هولاء . اما نحن فانه يسهل علينا جداً ان نبيّن للخصم خطاه لان القديس ايرونيموس لم يرتاءى ما توهّمه الاخصام . فعليه اذاً ان يصغى لما قاله هذا العلامة الجليل . على انه قد وجد في عصره نفسه من نسب اليه هذا المدّعى . فبادر حالاً هذا القديس ودحض هذه التهمة الزورية . فقد نسب اليه البعض من اهل عصره ما نسبه اليه الخصم وهو انه اراد ان يحصر اسفار العهد القديم في ما هو محصور في قانون اليهود وحدهم . فحينئذٍ نهض هذا العلامة الجليل ضد هذا المدّعى ودحض هذه التهمة على ما يوكد لنا التاريخ . وقد اعتجبنا كيف قد جهل الخصم شهادة التاريخ بهذا الشأن . واكال ان هذه التهمة واذاعتها في الكنيسة ودحض القديس

ايرونيموس لها هو من الادلّة القاطعة المؤيدة قانونية الاسفار الثانية المرفوضة من الاخصام *

فقد جرى هذا الحادث في هذه الاقطار السورية ، على ان القديس ايرونيموس الجليل بعد ان افرغ اتعابًا جزيلة اظهر ترجمته الكتاب عن الاصل العبراني ووضع في جبينه مقدمةً ذكر فيها ما تترأّه اليهود بقانون الكتاب المقدس ، فتوهّم روفينوس الشهير ما توهّمه خصمنا الخبيب ، وهو ان القديس ايرونيموس قدم قانون اليهود نظير قاعدة لقانون الكنيسة وانه رفض الاسفار غير الموجودة في قانون اليهود ، واخذ روفينوس يحارب هذا التعليم فقال : لعمري هل يكون بطرس دبّر كنيسة رومية مدة اربع وعشرين سنة ، وسلّمها اسفاراً كانت تُتلى بحضرته وكان يفسّرها للمؤمنين ويكون قد غش كنيسة المسيح المقدسة وسلّمها اسفاراً غير مقدسة كأنها الهية منزلة ، أهل انه اراد ان تستخدم المؤمنون اسفاراً كاذبة فيما انه كان يشاهد الاسفار الحقيقية في ايدي اليهود . لعمري انه من المستغرب بان يكون امر رسل الله تلاميذهم بان يواظبوا على تلاوة الكتاب ويرذلوا حكايا اليهود ويتركوا الكتان ولم يكونوا مع ذلك اعطوهم اسفاراً قانونية ولم يسبقوا وينظروا بقوة انوار الروح القدس بانه بعد مرور اربعة اجيال يأتي يومٌ تتأكد فيه بيعة الله المقدسة بان الرسل لم يسلّموها اسفار العهد القديم الحقيقية بل قد احوجوا اولادها بان يذهبوا الى اليهود ويلتمسوا منهم بان تنشرح خواطرهم ويعطوهم بعض الحقائق الموجودة بين ايديهم (روفينوس في الابولوجيا سفرا عدد ٣٣ و ٣٤) *

فهذه هي الفاظ التهمة . ولا غروان كلاً منها يكذّب تكذيباً صريحاً جميع الذين يزعمون مع خصمنا بان المسيحيين الاولين كانوا يقبلون من اليهود قانون الكتاب المقدس . فقد هيجت هذه التهمة افكار المؤمنين ضد ايرونيموس لا في سورية فقط بل وفي الكنيسة باسرها . واتصل الهيجان الى هكذا درجة حتى ان هذا القديس اضطر ان يعترف علناً ويكفر بهذا الرأي المنسوب اليه . وكلام دحضه يؤكد نفي هذه التهمة عنه فانه تأثر تأثيراً عظيماً لان روفينوس تجاسر ونسب اليه هذا المدّعى . فنادى من ثم علناً قائلاً: بانه في تلك الكلمات التي وقع عليه بها الملام لم يبيّن رأيه الشخصي بل رأي اليهود : واستتلى كلامه قائلاً: ان من يتهمني بما من عادة اليهود ان يقولوه ضد قصة سوسنة وتضحكة الفتيان الثلاثة في لاتون البابلي وقصة بيل والتنين غير الموجودة في الاصل العبراني ما هو الاَّ جاهل احمق . على اني لم اقل ما أرتايه انا نفسي بل اني ابنت ما تعترضني به اليهود . فان كنت لم ادحض رأيهم فما ذاك الاَّ لاني قصدت عمل مقدمة لا تأليف كتاب . وقد اوضحت ذلك حيث قد استتليت قائلاً : لا محل هنا الآن للفحص عن مثل هذه الامور: *

أمّا قد اتضح الحق لخصم الاسفار القانونية الثانية . ترى هل يثق الخصم بكلام القديس ايرونيموس ذاته . فما ذكرناه من قول هذا العلاّمة الجليل شأنه ان يبيّن لنا طريق تفاسيره الكتاب . اي نعم قد يعرّض بذكر اراء الاخرين وذلك ليطلع القاري عليها . لا لانه

يسلم بها حتى ولو لم يدحضها . فهذه الملاحظة ذاتها التي لاحظها هذا القديس نفسه تكفي لتبديد ظلام الابهام والمناقضة الظاهرية التي قد يعثر عليها من وقف على تأليفه *

فاذا ما رأيناه قد ارتاب مرة باحد الاسفار المدعوة ابوكريفا فكفاه دفعاً لكل شبهة وريب وتوطيداً لايمانه وقبولاً لذلك السفر منزلاً الهياً ان يعلم بان الكنيسة تعدّه الهياً . فقد ارتاب بسفر يهوديت لكنه حالما سمع بان المجمع النيقاوي قد اعطى رأيه بشأن هذا السفر اصمحل الريب من اذهانه . هذا ما ابانه في مقدمته على سفر يهوديت *

أهل بعد هذا تقتضي ادلة اخرى تبيّن رأي هذا العلامة الجليل . أهل يقتضي ان نضيف عليها استعماله لهذه الاسفار التي قد اتهم برفضها فيما انه قد كان يستشهدها على انها الهية حقاً وكان يدعوها كتاباً الهياً ويستخدمها لتفسير بعض آيات عويصة في اسفار غيرها ولتبيان ضلال الاراطقة البلاجيين *

فلا حاجة للاسهاب وان سهل علينا تعداد شهادات شتى . وما قد ابنناه الى الآن يكفي بان نقنع كل عاقل حتى وخصمنا نفسه بان القديسين المعظمين ايرونيموس والذهبي الفم وكيرللوس الاورشليمي وغريغوريوس النزينزي واثاناسيوس وغيرهم الذين استخدمهم الخصم لمحاربتنا لم يرتابوا نظير مدّعاه بالاسفار القانونية الثانية بل انهم قد ارتابوا رأي الكنيسة الرومانية *

واننا نزيد على ما تقدم شهادةً اخرى ذات قيمة واعتبار وهي شهادة الاراطقة المعاصرين هؤلاء الاباء الكرام *

http://al-maktabeh.com

انه لما قدّم القديس اثاناسيوس وغريغوريوس النزينزي ضد الاريوسيين شهادات مأخوذة من الاسفار القانونية الثانية ليست شعري أهل تعلل الاريوسيون بشيء ضد صحة هذه الاسفار . لا لعمري اي نعم قد رأيناهم حرفوا معانيها . لا بل قد كانوا هم انفسهم يأخذون منها ادلة زعمًا منهم بانها توافق مدعاهم . وانما نعلم متأكدون بان بيلاجيوس كان يذكر سفر الحكمة زعمًا منه بانه يجد فيه اضاليله . فما الذي كان يفعله الاباء حينئذٍ أهل انهم كانوا يجيبون الاراطقة بان تلك الاسفار هي اجنبية عن تعليم المسيح او انها غير كافية لتأييد تعليمه الالهي . لا لعمري . ان هذا لم يكن ممكنًا . وذلك لسبب التقليد العملي في الكنيسة بخصوص هذه الاسفار . فكان الاباء يجادلون مصححين مقال الاسفار المحرّفة من الاراطقة . فهذا امر واضح جلي للعيان . وهل يجهله خصمنا الكبيب *

قال: ولئلا يطول بنا الكلام نعدل عن زيادة الاستشهاد من اقوال الاباء الاولين ونقتصر على ذكر ما اورده الكردينال كاجيتان الذي عاش في بداية الجيل السادس عشر . وهو من المُعتمد عليهم كثيرًا في كنيسة رومية وقد كتب عدة تفاسير على الاسفار المقدسة وهو يقول فيها ان الكتب التي كانت معدودة قانونية عند ايرونيموس يجب ان تكون قانونية عندنا . والتي كانت محسوبة عنده غير قانونية ينبغي ان نرفضها . ثم يقول ان الكنيسة مديونة كثيرًا لهذا الاب (اي ايرونيموس) لاجل تمييزه

الاسفار الثانية عن غيرها *

فقد ذكر الخصم هنا امرين يجب الفرق بينهما . وهما اولاً رأي كاجيتان ثم رأي القديس ايرونيموس الذي احالنا اليه *

فقد تأكدنا بان رأي القديس ايرونيموس انما هو بشأن الاسفار القانونية الثانية . فبناء عليه استغاثة الكردينال كاجيتان برأي القديس ايرونيموس لا منفعة للخصم منها ضد تعليم الكنيسة الرومانية . فواكالة هذه فاننا نرشقه بنفس سهامه ونقول انه بموجب رأي كاجيتان ينبغي ان نعتمد على قول القديس ايرونيموس نظراً للاسفار القانونية الثانية . واكال لم يرفض القديس ايرونيموس هذه الاسفار من قانون الكنيسة بل انه قد اعتبرها اسفاراً قانونية . فاذاً الخ *

اما شهادة كاجيتان فلا قوة لها ولا قيمة ضد التقليد المتصل واستعمال الاباء لهذه الاسفار واعتبار الكنيسة لها . اي نعم قد كان كاجيتان كردينالاً لكنّ الكردينالية لا تجعله معصوماً من الخطاء . قد كان كاجيتان لاهوتياً معتبراً نظير ماكان لاب هياسنت الذي اعتمت الابروتستانت في هذه الايام ان تنتفع من اعمالذات الشك لكونه واعظاً عظيماً . لكن كاجيتان وهياسنت قد امتازا بجسارة الاراء وغرابتها . اي نعم قد كان كاجيتان شهيراً بمحاربة اضاليل الابروتستانت وسعيه بترجيعهم الى الايمان الحق واستقر على ذلك . لكن اقواله لا قوة لها في بيعة الله المقدسة نظير ما يتوهم الخصم . فهو من جملة اللاهوتيين الذين لم يهتدوا الى حقيقة

رأي ايرونيموس . وخطاه هذا قد حرمته الكنيسة في المجمع التريدنتيني حيثما قد نادت بقانونية الاسفار الواقعة تحت الجدال وحسمت المسئلة ورفعت الشك والارتياب وقطعت كل منازعة وخصام *

* الباب العاشر *

* في تهمة الخصم الخامسة ايضًا *
* ويحتوي شهادة الكنائس الغربية *

ها اننا قد وصلنا الى عادة الكنائس . فقد زعم الخصم بان عادة الكنائس القديمة تضاد قبول الاسفار القانونية الثانية في قانون الكتاب *

زعم هكذا ولم يأت ببينة تأيد مدّعاه مع انه من المسائل الاهمية التي يجب تبيانها واعطاء الادلّة الراهنة عنها *

فقد رأينا اباء الكنيسة قد استعانوا دائمًا بتقليدات الكنائس واستعمالها الاسفار المقدسة ليعرفوا ويميّزوا ما هي الاسفار الالهية والمنزلة حقًا . قال القديس ايريناوس : انه ينبغي ان نقبل الكتب الالهية من سلسلة الاساقفة وتخلفهم ومن ايدي الكهنة (على ما في تأليفه عن الارطقات كتاب ٤ فصل ٣٣) *

قال ترتوليانوس سر جائلًا الكنائس الرسولية . زُر الكنائس التي اسس كراسيها الرسل انفسهم حيثما تُتلى رسائلهم الصحيحة الصادقة (على ما في كتابه عن الانتخاب فصل ٣٦ وفي تأليفه ضد مرشيون كتاب ٤ فصل ٥) * قال القديس كيرللوس

لاورشليمي : انما من الكنيسة يقتضي ان نتعلم ما هي الاسفار المقدسة وما هي الاسفار غير المقدسة (في تعليمه الرابع) *

قالت اساقفة افريقية الملتئمون في قرطجنة : اننا نقبل جميع الاسفار التي امرنا اباؤنا بان نتلوها في الكنائس (في مجموعة المجامع للعلامة لابيوس مجلد ٢ صحيفة ١١٧٧) * قال القديس اغستينوس الجليل : ان صحة الاسفار القانونية التي تمتاز من الاسفار المتأخرة قد ثبتت منذ ازمنة الرسل واعترف بها فيما بعد من تسلسل الرسل وتخلفهم على كراسيهم ومن اذاعة الكنائس لها (في تأليفه ضد فستوس كتاب ١١ فصل ٥ طبع البينيديكتيين مجلد ٩ صفيحة ٢٢١) *

قال القديس ايزيدوروس بيلوزيطا : ان المجلدات المقدسة التي تحتوي شهادات الكتب الالهية انما هي سلّم نصعد به نحو الله ولهذا ينبغي ان نقبلوا كالذهب الابريز الاسفار المقدمة من الكنيسة (في رسائله كتاب ١ عدد ٣٦٩): راجع مجموعة الاباء لمينجيوس مجلد ٧٨) *

لكن ليت شعري ترى هل توجد صحة لزعم من ادّعى بان عموم الكنيسة وان الكنائس الاولية لم تقبل اصلاً الاسفار المرفوضة من اللابروتستانت . فلو كان اثبت الخصم مدّعاه هذا لكان حاز الغلبة والانتصار لدى من طالع اوراقه . لكنه لم يقدم دليلاً واحداً يؤيد به زعمه . فان كانت الكنائس التي اسستها رسل الله الكرام لم تقبل الاسفار القانونية الثانية لِمَ لم يقدم خصمنا الحبيب ادلّة يتوهم بها تاييد حجته . لِمَ لم

يأتينا بدليل واحد يؤيد به مدّعاه هذا الذي انما هو اهمّ واعظم مدّعى اودعه في اوريقاناته . أهل يزعم متوهمًا بان ما اورده من شهادات الاباء الكرام يكفي لاثبات حجته . فنقد اطلعنا على الشهادات التي اسند عليها زعمه . فرائنا هولاء الاباء الكرام قد فضّلوا دائمًا قانون الكنيسة على قانون اليهود وابانوا بشهادة الكنيسة نفسها وجود سمة الوحي والالهام في الاسفار القانونية الثانية وما كان من الارتياب النظري بهذه الاسفار لم يصدّ الكنائس عن قبولها واعتبارها ولم يمنع علماء الكنيسة من ان يسلحوا بشهاداتها وآياتها كسلاحهم بكلام الله المنزل . قال القديس ايرونيموس: انا نقبل الاسفار الواقعة تحت الجدال بدون التفات الى الارتياب الموجود . لاننا نستند على عادة واستعمال الاقدمين الذين ذكروا هذه الاسفار كالهية منزلة (على ما في رسالته المائة والتاسع والعشرين الى داردانوس عدد ٣) *

ومن ثمّ ما من احد قد انكر حقًا سمة الوحي على هذه الاسفار الّا وقد نهض حالًا من خاصمه وحاربه على جسارته *

فلما حارب افريقانوس قصة سوسنة في سفر دانيال نهض حالًا صلة اوريجانوس الجليل وابان فساد تلك الارتيياب (راجع رسالته الى افريقانوس) . ولما ميّز القديس ايرونيموس من الكتاب المقدس الاجزاء القانونية الثانية من دانيال نهضت حالًا ضده الاصوات وتعاظم الغيظ والكذب حتى انه بالكاد استطاع ان يسكت اخصامه بقبوله علنًا وجهارًا قانون الكنيسة (راجع الباب التاسع) *

http://al-maktabeh.com

فقد اخذ سامبيلاجيوا موسيليا يجادلون على صحة سفر الحكمة واذا بالقديس اغستينوس الجليل نهض ضدهم ودحض آراءهم (راجع كتابه على الانتخاب عدد ٢٨) *

فذلك الارتياب الذي تأتى عن ضعف صحة التقليدات المحلية كان دائمًا نظريًا بخصوص بعض الاسفار الالهية، ولم يكن له ادنى تأثير بمعتقد العموم وعادة الكنيسة واستعمالها. ومن ثم قد احتمله السلطان الروحي طالما لم يأت بخطر ولا مضرة. ولبث التقليد الاول سالما في وسط هذا الارتياب واخذ يتمكن متقويًا بقوة العادة والاستعمال. وعلى هذه الصورة اخذ الحق يظفر متغلبًا وسار من ثم منتصرًا. ولم يكن الاحتمال خطرًا مضرًا كلا في اوان الاصلاح الموهوم من مبدعي الابروتستانية. لما رأى المؤمنون اسفارًا الهية كانت بعدل وصواب مكرمة ومعتبرة في كل الاجيال قد رفضها المبدعون بحنق واحتقار لانهم رأوا فيها ما يشجب اضاليلهم شجبًا صريحًا. فحينئذ رفعت بيعة الله صوتها وابرزت حكمها القاطع الجازم فبطل الجدال وتلاشى الشك والارتياب *

فحقًا انه ما من شيء اوضح بيانًا واسهل تثبيتًا من عادة الكنيسة واستعمالها المصادين تصادًا تامًا لما ادّعاه الخصم عفوًا. وما من شيء تسهل معرفته وتأكد صحته بقوة تقليد الاجيال الاولية وآثار المسيحيين الاقدمين نظير تكريمهم واعتبارهم اسفارًا احتقرها الابروتستانت ورفضوها. وما من شيء اجلى بيانًا من صدق محافظة الاقدمين على هذا الجزء المقدس من

الوديعة الالهية المقدسة وتسليمهم اياه خلفًا من سلف *

نشدتك الله قل لنا ايها الخصم الحبيب ما هي الاسفار التي صرّحت بها ابـاء مجمع قرطجنة وقالوا بانهم قد تسلّموها من اباثهم وأُمروا بقراءتها في كنائسهم . أما هي عين الاسفار المقدسة المقدّمة لنا من الكنيسة الكاثوليكية ذاتًا وعددًا ونسقًا (راجع مجموعة المجامع للابيوس مجلّد ١ وجه ١١٧٧) . أفما قد صرّح القديس اغستينوس قائلًا عن سفر الحكمة : بانه لا يسوغ ان تُحذف منه ولا آية واحدة بحجة عدم كونه قانونيًا . لان هذا السفر قد استحق منذ سنيين عديدة ان يُتلى في محفل المؤمنين من قراء كنيسة يسوع المسيح ويُستمع نظير كتاب النبي من الاساقفة والمؤمنين اجمعين (في كتابه عن الانتخاب فصل ١٣ طبع البنيديكتيين مجلّد ١٠) *

نشدتك الله ايها القاري الحبيب امعن النظر بكلمات القديس اغستينوس الجليل . فانها تعلّمنا بانه مع ان هذا السفر لم يكن وقتئذٍ قانونيًا اي لم يكن منضمًا في سلك القانون بقوة حكم الكنيسة الرسمي . فعدم الصفة القانونية المثبتة بحكم صحيح شرعي لم تمنع تلاوة هذه الاسفار واعدادها الهية منزلة . وانها لم تكن تحتاج الا الى صريح حكم الكنيسة القاطع الجازم . فقد اتضح اذًا وتأكد بيان كنيسة افريقية كانت تعتبر هذه الاسفار وتكرّمها بما انها الهية *

قل لنا ايها الخصم الحبيب . أما ان الكنيسة الرومانية التي بنعمة العلي القدير لم تبتعد قط عن التقليد الرسولي ولم تتظلم

اصلًا بابداعات الاراطقة الملحدين . أما ان هذه الكنيسة التي قال عنها القديس ايروناوس بانه يجب ان تلتجي اليها كل كنائس العالم . أما ان هذه الكنيسة المعظمة قد تسلمت منذ الابتداء هذه الاسفار القانونية الثانية من ايدي الرسل انفسهم . أما انها قبلت الترجمة السبعينية منذ الازمنة الرسولية . أما قد وجدت في هذه الكنيسة منذ الابتداء الترجمة الايطالية القديمة والترجمة اللاتينية المدعوة فولكاتا المحتوية جميع الاسفار القانونية الثانية . فقد زعم الخصم بان الكنائس الاولية لم تقبل هذه الاسفار ولم تسلّم بها . قل لنا يا صاح أهل ان الكنيسة الافريقية والكنيسة الرومانية ليستا من عدد الكنائس الاولية *

* الباب الحادي عشر *

* في تهمة الخصم الخامسة ايضًا *

* ويحتوي شهادة الكنائس الشرقية *

فقد اتضح خصمنا الحبيب واتهم الكنائس الشرقية بما قد اتهم به الكنائس الغربية وهو انها قد رفضت الاسفار القانونية الثانية . فلنستعلمنّ اذًا مستفهمين من هذه الكنائس ولنسألنها عمّا ارتأته دائمًا وابدًا وما الذي ترتائه الآن بهذه الاسفار . ثم وما هو رأيها بالذين قد اتقحموا وحذفوها من كتاب الله المقدس *

فلنسالنّ ليس فقط تلك الكنائس التي لم تنفك اصلاً عن التمسك بالايمان الكاثوليكي والاتحاد بكرسي بطرس هامة الرسل . بل فلنسألنّ ايضاً تلك الكنائس التي قد انفصلت منذ اجيال عديدة عن وحدة الايمان الكاثوليكي المقدس *

ان اعتبار الاسفار الالهية المرفوضة من الجماعة الابروتستانية انما هو من اشهر حوادث تواريخ الكنائس الشرقية . على ان هذه الكنائس الجليلة قد اعتمدت منذ اوائل الاجيال الرسولية على هذه الاسفار المقدسة ووجّهت نحوها كمال الاعتبار والاكرام . ورغماً عمّا تولّد في عقول البعض من الارتيابات النظرية قد اعدّتها دائماً جزءاً من الوديعة الثمينة المؤتمنة عليها بيعة المسيح المقدسة *

وعندنا بهذا الشأن صورة ايمان بطاركة المشرق واساقفتهم والقانون المعتمد عليه في كنائسهم واثباتات اخرى عديدة وطيدة قد جمعها العلّامة الجليل السيد يوسف السمعاني في تآليفه الشهيرة . وهاك بعض هذه الشهادات ذات الادلّة الراهنة والحجة القاطعة الجازمة *

ان عبد يسوع بطريرك الكلدان ذهب الى رومية في اواسط الجيل السادس عشر وقدّم صورة ايمانه للحبر الاعظم وصرّح فيها قائلاً : ان جميع الاسفار القانونية الثانية وجدت وتوجد في قانون كنيسته مع انه لا وجود لها في القانون العبراني . بل وقد اتقح اهل البدع الابروتستانية الحديثة وحذفوها من كتاب الله (راجع رسالة الكردينال ايموليّ الى وكلاء البابا في المجمع

التريدنتيني ، مجموعة المجامع لهاردوينوس مجلد ١٠ وجه ٣٠٥ و ٣٠٦) *

ثم ان خشدور بطريرك كارمن قد امضى في سنة ١٦٧٢ صورة ايمان ، اقرّ بها معترفاً بانزال ووحي الاسفار القانونية الثانية ورذل آراء الكلفينيين لانهم اتفقوا على رفض هذه الاسفار (راجع تأليف دوام الايمان مجلد ٣ كتاب ٨ فصل ٢٢) *

ثم ان السيد داود رئيس اساقفة اصبهان على كارمن قد كان هو واكليروسه امضى صورة ايمان نظير الصورة المار ذكرها (راجع التأليف المتقدم ذكره في المحلّ ذاته) *

فهذه الصور انما هي دعوى صريحة اقامها روساء تلك الكنائس ضد تعليم الذين قد ادّعوا الاصلاح الموهوم بهدم صحة ما بناه الاولون وبتمسيخهم كتاب الله المقدس اذ حذفوا منه اسفاراً ثابتة الوحي والانزال *

وفي هذا التأليف نفسه كتاب ٨ فصل ١٦ و ١٨ نرى ايضاً قيام جمة سريان انطاكية المارونيين وسريان دمشق الشام ضد مدّعي الابروتستانيين *

وقد كرّمت كنائس مصر هذه الاسفار كالهية واعتبرتها منزلة حقاً وموحاة من روح الله القدوس ، وأكد لنا حقيقة ذلك عالمان شهيران من علماء تلك الاقطار ، وهما ابن اصال في كتابه المسمّى قانون الناموس فصل ٢ وابو البركات في كتابه المسمّى نور الظلام (راجع السمعاني في المكتبة الشرقية ، مجلد ٣ وجه ٦ في الحاشية) *

http://al-maktabeh.com

وقد اعترف لودولف الابروتستاني (في تاريخ الحبشة كتاب ٣ فصل ٤) . بان كنيسة الحبشة قد احصت دائمًا بين دينها القانونية سفر طوبيا ويهوديت واستير والحكمة والمكابيين . واكد لنا ابروتستاني اخر يُدعى فابريسيوس : بان الاب غريغوريوس الذي ولد في بلاد الحبشة ثم استدعي الى غوطا في سنة ١٦٥٢ من الامير ارنست صرّح قائلاً: بانه لا يقرّ معترفاً بقانون اخر الاّ بقانون المجمع التريدنتيني *

وقد كان مستحضروا الكنائس الشرقية قبلوا في المجمع الفلورنتيني قانون الاسفار المقدسة الذي ادرجه البابا اوجينيوس الرابع في مرسومه لاتحاد الكنائس . وقد وُضعت نسخة هذا المرسوم الاصلية المضي عليها من البابا الموماْ اليه ومن الكردينالية الذين حضروا ذلك المجمع في دير رهبان فيزولا بالقرب من فلورنسا . وعنها اخذ البابا لاون العاشر نسخة طبق الاصل . اي نعم قد انكر الابروتستانيون وجود هذا المرسوم لكنّ لا اعتبار لنكرانهم امراً اوضح من الشمس في رابعة النهار . على ان كثيرين من اهل الثقة والاعتبار قد وقفوا على صورة هذا المرسوم الاصلية . وفي سنة ١٥١٤ اخذ الخبر الاعظم صورتها واذاعها في البندقية لتسير بموجبها الامم الشرقيون (راجع تاريخ المجمع التريدنتيني للعلاّمة بالافيشيني مجلد ٦ فصل ١١) *

واما اعتقاد كنيسة الروم الشرقية بوحي وانزال هذه الاسفار القانونية الثانية فهو من الامور الواضحة للعيان *

فلا غرو ان كنيسة الروم الكاثوليكية تعتقد بصحة انزال هذه الاسفار الالهية ولا نرى اقتضاء للتبيان . اما الكنيسة الروم الشرقية غير الكاثوليكية فانها تضاد معتقد الابروتستانت بقانونية هذه الاسفار كما وان معتقدها يضاد تعاليمهم في مسائل شتّى *

فقد تأكد بانه منذ الجيل التاسع قد ثبّتت هذه الكنيسة في قانونها قانون مجمع قرطجنة وقبلت الاسفار القانونية الثانية المحتوية في الترجمة السبعينية . وبقي هذا التعليم ثابتاً في حضنها الى عهد كيرللوس لوكاريس الذي اعتماداً على تلقين الابروتستانتيين اخذ ينادي ضد هذه الاسفار . فاجلب على نفسه الحرم واللعنة من جميع اخوته وبني جنسه *

واننا نرى في قصة هذه الحادثة امراً جزيل الاهمية يؤكد لنا صحة معتقد الكنيسة الشرقية بهذه الاسفار الالهية . ومن شأن هذه الحادثة ان تنير عقول اولي النية السليمة من الابروتستانت وتغطي بالخزي وجوه الذين يتعامون طوعاً واختياراً عن الحق ويصرّون على حذف هذه الاسفار الالهية من كتاب الله المقدس . وقد انبأتنا تاريخ هذه الحادثة عن امرين اهميين . احدهما اجتهاد الابروتستانت بجذب الكنيسة الشرقية الى اضاليلهم . ثانيهما قيام جهة هذه الكنيسة في مجامعها التي انعقدت في القسطنطينية وبيت لحم واورشليم وغيرها ضد حذف هذه الاسفار . ثم محاربة اساقفتها ومدافعتهم عن هذه الاسفار عينها المرفوضة من الابروتستانت . وان هذا الحادث لاشهر ما في التاريخ وقد وقفت على صحته اهل الانتقاد من نمساويين

وغيرهم فاظهروه للعيان فلا منازع ينازعه ولا يقع بحث جدال *

اما كيرللوس لوكاريس فقد ولد في جزيرة قريطش وتعلّم في جنيفا حيثما عاشر فيها الابروتستانت الكلفينيين وتشرّب سم تعاليمهم *

فتوهّم هولاء انهم وجدوا في كيرللوس المذكور شخصًا يوافق اذاعة تعاليمهم في حضن كنيسة الروم الشرقية ، ومن ثم بقوة نفوذ اهل هذه البدعة في القسطنطينية ومساعدة سفير دولة هولاندة ودراهمها كان السعي بقيامه بطريركًا على كرسي الاسكندرية ثم على كرسي القسطنطينية . اما هو فجاوب على رغبة مساعديه ، ورتب صورة ايمان كلفينوس واظهره للعيان بصفة صورة معتقد الكنيسة الشرقية الارثودكسية واذاعه اولاً في اللغة اللاتينية خشيةً من حدوث قلاقل سيئة العاقبة في القسطنطينية . لكنه ترجمه فيما بعد الى اليونانية اجابةً لطلب مساعديه واذاعه في المشرق فوقع اذ ذاك شك عظيم في تلك الكنيسة وكثرت القلاقل وازدادت الهواجس وهاج الشعب واضطرب وازدادت مع ذلك دسائس كيرللوس لوكاريس الى ان آل به الامر فاصبح مشنوقًا بامر الدولة العلية وذلك في سنة ١٦٣٨ *

فمن المعلوم هو ان الابروتستانت قد دافعوا عن كيرللوس لوكاريس وعملوه قديسًا (١) ، فعلى القاري مراجعة تاريخ بطاركة

---

(١) حاشية ، ان دوريطاوس البطريرك الروم الاورشليمي قد

القسطنطينية (٢) فيرى ما حدث من القلاقل في سائر المشرق بسبب ضلال هذا البطريرك ودسائسه، وقد حاول مساعدوه اخفاء الحق وما كان في الشرق من المقاومات ضد

صرّح في المجمع المنعقد في اورشليم سنة ١٦٧٢ الذي حُرمت فيه تعاليم لابروتستانت، فقال عن موت كيرللوس لوكاريس واسبابه، فاذاً لا تفتخرن الاخصام بموت كيرللوس على انه لم يقتل ظلماً او لاجل اسم يسوع المسيح كما يدّعون. لكنه لما كان معترياً بداء الاطماع الخارجة عن الحدود، الداء المسمّى من القديس باسيليوس الجليل داء لوسيفوروس، وقد دخل كيرللوس على ثلث دفعات الكرسي القسطنطيني بطرق غير شرعية عدا الدفعة الاولى التي اتخذت شبه الشرعية، وبعد ان وجّه ضد الاكليروس جميع طرق الاضطهاد من عزل وطرد وظلم وجور، ولما لم يكن ارتواء لاطماعه واستخدم مساعدة سفير هولاندة وفاقاً لمقاصده الامر الذي جعله مشبوهاً لدى طائفته، فبسبب هذا جميعه قد حُكم عليه بالموت الشنيع، واذ كان من المحقق ايضاً بانه كان مبدع الكفر الجديد على ما يقرره الاخصام انفسهم، فاننا لا نعترف بكونه قديساً بل بكونه رجلاً شقياً لا شركة له مع المسيح (راجع التأليف المسمّى دوام الايمان مجلد ٣ كتاب ٨ فصل ١٥) *

(٢) حاشية. راجع تاريخ سلسلة بطاركة القسطنطينية في اعمال القديسيين على ما جمعه البولانديستيون في المجلد الاول من شهر آب *

لكنه لم يمكنهم ان يطفئوا انوار الحق ولا ان يخفوا اشعتها. فحينئذٍ ظهرت في المشرق جميع الشهادات والبينات المؤيدة صحة الاسفار القانونية الثانية المرفوضة من الابروتستانت. فقد عزل شعب القسطنطينية واكليروسها كيرللوس المذكور ثلث دفعات عن كرسيه بسبب تعاليمه الحديثة المضادة معتقد الكنيسة الشرقية. وقد حُرّم تعليمه رسمياً في سنة ١٦٤٣ من الاساقفة الملتئمين في القسطنطينية تحت رياسة بارثينيوس. وقد اتفق الجميع على تعنيفه، لانه من جملة اضاليله قد رفض الاسفار القانونية المقبولة من الاباء ومن المجامع (راجع الكتاب المسمّى مجمع بارثينيوس في تعليم كيرللوس لوكاريس المطبوع في امستيل سنة ١٦٤٥)*

ثم بعد مرور ثلثين سنة قد اجتمع في اورشليم جميع اساقفة فلسطين تحت رياسة دوسيطاوس وحرموا كيرللوس لانه تلاعب بقانون الكنيسة لكونه لم يقبل الا قانون لاوديقيا الناقص بمعزل من كل قانون اخر، وقد صرّح ذلك البطريرك والاساقفة اجمع بان كل من دعى سفر حكمة سليمان ويهوديت وطوبيا وقصة التنين وسوسنة وسفري المكابيين وابن سيراخ اسفاراً ابوكريفا انما يظهر بذلك خبثاً ورداءة لا جهلاً. وقالوا: اننا نؤمن معترفين بان هذه الاسفار هي من جملة الكتاب المقدس وانها جزء جوهري منه. فالتقليد القديم بل والكنيسة الكاثوليكية نفسها التي حفظت لنا الاربعة الاناجيل وباقي الاسفار القانونية قد سلمتنا هذه الاسفار ايضاً كاجزاء الكتاب المقدس حتى انه لا يمكن

http://al-maktabeh.com

رفض هذه الاسفار الاخيرة ما لم ترفض الاولية معاً . فان كان لم يقبلها بعض العلماء فاننا قد رأينا المجامع ومشاهير علماء الكنيسة الاولين قد نسقوها في سلك الاسفار الالهية (راجع اعمال المجمع الاورشليمي في مجموعة المجامع للعلامة هردوينوس مجلد ١١ وجه ٢٥٨) *

فهذه الشهادة الصريحة بصحة انزال الاسفار القانونية الثانية ليست مفردة واحدة . بل انه في سنة ١٦٧١ قد حرّم مكاريوس البطريرك الانطاكي على طائفة الروم الشرقيين تعليم الكلفينيين وصرّح بهذه الكلمات قانونية الاسفار المقدسة قائلاً : فليعلم هؤلاء العصاة المصرّين على ضلالهم باننا نقبل جميع الاسفار الالهية المقدسة المذكورة في مجامع الكنيسة الارتودكسية وفي تآليف الاباء القديسين . فمن جملة هذه الاسفار رؤيا يوحنا ورسالة مار يعقوب وسفر طوبيا ويهوديت وسفر حكمة سليمان وسفر ابن سيراخ وسفري المكابيين فاننا نعترف بجميعها ونقلوها في الكنيسة الارتودكسية المقدسة : *

وفي تلك الاثنا عينها اي في سنة ١٦٧١ صدر امر جلالة ملك فرنسا للماركيز نوينتل سفير دولته في القسطنطينية لكي يستعلم من رؤساء الكنائس الشرقية ويطلب رأيهم في مسائل مختلفة على تعليم المبتدعين البروتستانيين لاسيما من الاسفار التي حذفوها من كتاب الله المقدس . واذا بجميع رؤساء الكنائس الشرقية جاوبوا باتفاق الرأي رافضين تعليم اهل الاصلاح الموهوم ومنادين بصحة وحي الاسفار القانونية الثانية *

فانك ترى في هذا التقرير الصريح رأي سبعة روساء اساقفة من طائفة الروم الشرقية ، وهم بارثولماوس رئيس اساقفة هرقلية ، ارميا رئيس اساقفة خلقيدونية ، ميتوديوس رئيس اساقفة بيزيديا ، وميتروفانوس رئيس اساقفة سيزيكا ، وانطونيوس رئيس اساقفة اتينا ، ويواكيم رئيس اساقفة رودس ، ونيوفيطوس رئيس اساقفة نيقوميديا (راجع التأليف المسمّى دوام الايمان مجلد ٣ كتاب ٨ فصل ٢) *

ثم تقرير روساء اساقفة جزائر بحر الروم في التأليف المذكور كتاب ٨ فصل ٣) *

وفي سنة ١٦٧٣ ثبّت نيوفيطيوس بطريرك انطاكية مع روساء اساقفة البصرة وحوران وبعلبك وغيرها ما قد كان صرّح به سالفه مكاريوس في سنة ١٦٧١

ثم ان الكنيسة المسكوبية التي انما هي ابنة كنيسة الروم الشرقية مع انها منفصلة عن وحدة الايمان الكاثوليكي فتراها قد حفظت دائماً قانون الكتاب المقدس ، حتى وانه في مجمع فلورنسا نفسه لم يضاد بطريرك المسكوب قانون الكنيسة اللاتينية ولم يقع قط اختلاف بين هتين الكنيستين على الاسفار القانونية الثانية ، لا بل وانه لا يوجد الآن اختلاف بين قانون الكنيسة المسكوبية وقانون المجمع التريدنتيني الّا في امر واحد وهو ان الكنيسة المسكوبية تقبل ثلاثة اسفار المكابيين (راجع ما كتبه العلّامة فابري من ديانة المسكوب الى فارديناندوس ملك الرومانيين وجه ١٨٢) *

لعمري أهل انه بازاء هذه الشهادات الصحيحة الصريحة الثابتة الوطيدة المقررة معتقد جميع الكنائس والدالة على صحة ايمانها وايمان اباثها ومعلميها الاولين بالاسفار القانونية الثانية يستطيع خصمنا الحبيب ان يتقح قائلاً : ان الكنائس الاولية لم تقبل هذه الاسفار الالهية *

فعلى القاري الحبيب ان يتأمل بما يجب ارتآوه بخصوص التهم الخمس التي وجهها خصمنا ضد الاسفار القانونية الثانية . ليت شعري أيسوغ لهذا الخصم ان يرفضها وينهي كلامه قائلاً: فترى اذا مما تقدم ان كتب الابوكريفا لم تقبل عند اليهود ولا عند المسيح ورسله ولا عند اباء الكنيسة الاولين حتى ولا عند اكثر الاباء والمعلمين المشهورين في الكنيسة الرومانية: *

فان ما قدمناه من البحث الدقيق الصادق على التهم المقامة من الخصم ضد الاسفار القانونية الثانية شأنه ان يمكن هذه الاسفار من كمال الاحترام والاكرام المحفوفة بهما من المؤمنين والمستحقة شرعاً وعدلاً . فقد ابان لنا هذا البحث الصادق تعليم الاباء الحقيقي وتقليد الكنائس المتصل بشأن هذه الاسفار الالهية المقدسة . ومن ثم اذ كانت هذه الاسفار حقيقةً الهية منزلة وكانت جزءًا جوهريًا من كلام الله الملهم على ما فسّره المسيحيون الاولون . ترى ما الذي ينبغي ان نرتآيه بالكتاب المقدس المحذوفة منه . أما ان اهل هذا الكتاب قد مسخوا حقيقةً كتاب الله ورذلوا اسفارًا منزلة الهية . اي نعم ان ذا من المحقق ولا تستطيع جماعة

لا بروتستانت لاغتسال من ادران هذا الاثم الفظيع . لكنه يوجد ذنب اقبح واشنع وهو انهم لم يكتفوا بتمسيخ الكتاب وحذف الاسفار الالهية حقاً . بل انهم جدّوا في تحريف ما ابقوه من الاسفار. وزد على ذلك انهم قد ارتكبوا هذا الارتكاب في ظروف وطرق ، تدل على سوء ضمائرهم وقصدهم الثابت بخداع من طالع كتاب الله . لعمري ان هذا الارتكاب اقبح من الذي تقدم . والدليل عليه واضح بيّن . فعلم الانتقاد والتاريخ قد ابرزا حكمهما الصادق ضده . ففي رسالتنا الحاضرة قصدنا الوقوف عند تبيان الذنب الاول . فلربما تعرض لذهن خصمنا اوهام جديدة فاننا مستعدون دائماً لاستماع اقواله *

اي نعم اننا مستعدون لما به انشراح خاطره وواقفون على قدم الطاعة لنتقدم بالجدال معه . لكن لا رغبةً بالجدال ولا محبة بلذة الانتصار بل كما تقدمنا وقلنا في ردنا القويم اي حباً بالحق وحده وافادةً لمطالعي رسائلنا . على ان الحقيقة الكاثوليكية لا تخشى التجلّي للعيان . بل ان الجدال الاصولي مما يعلن بهاء جمالها . ووثبات اعداء الحق ضدها تظهر بنيانها غير المتزعزع . والبحث عمّا يورد ضدها من الادلّة والشهادات مما يلقي عليها اشعة انوار جديدة تنير العالم وترفع برقع الضلال عن اعين من قد انخدع منقشعاً من تعاليم اهل الضلال . وتجذب الى حضنها اولادها المنفصلين عنها . فانها اشبه بالالماس الذي كلما قُطّع القى اشعة ازدادت اشراقاً . فالبهاء الملقى على الحقيقة الكاثوليكية في بهرة جدال اصولي

اذا ما كان مبنيًا على خلوص النية واستقامة الرأي . شأنه ان يجذب اليها نفس اعدائها ويكتسب اهل العقول المستقيمة محبي الحق حقيقةً . وكفانا شاهداً بذلك ما قد جرى في انكلترة لابروتستانية من مشاهير علماء مدرسة اوكسفورد الذين بعد ان ارتد منهم العلّامة مانيق والسيد نيومان تراهم يبادرون الى اعتناق الكثلكة اجواقًا اجواقًا في هذه السنين الاخيرة . فقد وجدوا الحق الذي احبوه بمثل هذه الجدالات الاصولية المبنية على الحق المبين ، ومن ثمّ قدّموا بهذا الارتداد شهادة للحق الكاثوليكي . الارتداد الذي نؤمله بحسرة خصمنا الحبيب ولمن قد حذي حذوه . بنعمتك يا مَن استحقيت لنا كل نعمة

* امين *

———

http://al-maktabeh.com